الإطـــــار

قصـص

جمـال أبوضيـف

فرع الشرقية الثقافي

سلسلة خيول أدبية

وكما تواعدنا دائما أيها المحبون نلتقي على حب الكلمة وسمو الحرف ، ورفعة المعنى ، فالأفق هو عالم الإبداع الأكثر انفتاحا وتطلعا لكل ما هو صدق وبهاء ، إنه الشاهد على حلم التطلع للضحي الكامن في أعماق أعيننا ونحن نتطلع لرؤية نصيبها أو غاية ننشدها ، وبكل ما نملك من رغبات حرة ، لا تحدوها المنافع والأهواء والمصالح الخاصة .. إنه الحلم الذي تنشده الفنون ، ولاسيما فنون الإبداع الأدبي .. ذلك الأفق الذي نطالع فيه (خيول أدبية) في طرحها الثاني ، وهي تركض نحو تأكيد قدرتها على اللحاق بركب السيطرة والانتماء والتفوق ، وفي موكب الحق والخير والجمال ، ذلك الثراء الفكري والثقافي والإبداعي الذي دعمه ، بل واستثمر فيه معالي الوزير المستشار يحي عبد المجيد محافظ الشرقية ، ليكتمل البهاء والاستمرار ، وفاءً بوعد النبلاء في احتضان أدباء وشعراء هذه المحافظة الثرية والخصبة في شتي المجالات والفنون ، إنه حرث الفنان / أحمد نوار ، الذي ولي وجهه شطر أصحاب الفكر بالقلم ، أو بالفرشاة سواء ليؤكد أنه الزمن الذي يتحتم علينا فيه أن نؤكد - بما في الفنون من لغة مؤثرة - على ضرورة النظرة بإنسانية إلي العالم ، لنتمكن من الانتماء .. بل والتماهي فيه .. مدعوما بورود الشاعر الأرقي مصطفي السعدني الذي يضفي على المشهد الإبداعي بهذا الإقليم الخصب جمالا مضافا ، باقترابه المقترن بالرعاية ، وحرصه الدائم على اكتمال البهاء .

والله الموفق

الفنان / محمد الشاعر
مدير عام ثقافة الشرقية

القارئ العزيز

معذرة ...
فلقد وقعت كلماتى بين يديك
وأمام عينيك ولا أخفى عليك سراً فقد
كنت أسعى دوماً من أجل ذلك ...
بل حاولت جاهداً فلقد شققت
بجنونى كل السبل سعياً إليك ...
أعلمُ أنه لايجدى الإعتذار .
لكن ...
يبقى لديك ألاختيار فى الأصطدام
بها والحكم عليها .



إهـــداء

إلـــى زوجتى وأولادى .

إلــــــى روح الطاهــــرة أمـــــى التى فارقـــتـــنى .. وامتطت السحـــــاب

وهكــــــــــذا ..

تترك لي القصة .. أفترش الأرض مثلها .. بعين تـــــدمع حزنـــاً علـــى المسافر،أرمق طيراً يحلق .. أحلم يوما بركوب السفينة..

تمر السحب .. تغادر معها عيني .. تؤوب

ترمقها.. تـــلـــوَّح لي مبتسمة .. يخرج الـــدُّر من فيها قوس قزح

يغازل عين الشمس آلتي تلتحف فراء السحب .. تـــنتـــــفض داخـــل جسدي أمواج تـــترى من آلقـــشعريرة ..ألوح بيدي ..عســـاها تـــرانى.

سرعان ماتخفيها سحابة سمراء .. يزلزلني الرعد.. أتوجس خيفة .. أتحســـس حنانـــــاً .. أتوكأ على عصاها..

كالبرق يموج تاج رأسها الأبيض بساط .. يشـــق صدر الأفق ضـــياء.. اعـــــدو تجاهه .. تدمى عيني ..

تبسط يديهـــا إلي رخات . تـــنهمر فوق رأسى شلال صبر يطبق جفـــن عيـــــــــني.. أراه تلحد فى السمـــــاء .

قمة روح

يـبـتـسـم ..
داخل مقبرتـــه التى يسكنها القمر ..
يحدث ذاتة تداعبة أحلام لقاء الآهل ..
يتمنى ..
تـ إليه الروح مجدداً .. تطـــأ قدماه الأرض الدامية ..
يمعن النظر .. يزداد وضوح الحزن فى عينيه ..
.يستاء ..
يستدعى أرواح اخوانه على مر التاريخ . تـــلبى حاملة العتاد.تدنيه روح أدهم ذاك الفتى الشرقاوى بالفكرة..
يتــقمصها ..
مرتدياً عباءة الرحيل فوق الجسد الطاهر ، يقتل العشرات ..
يعود محمولاً فوق أكتاف الاهل ، تستــقبله أرواح الاحياء ..
داخل المقبرة وجــــدوه يبتسـم .

نشرت بجريدة المساء فى ١٩ /٤ / ٢٠٠٤
نشرت بكتيب (الشعر حياً) الهيئة العامة لقصور الثقافة
بمهرجان بلبيس الأدبى فى ١٧ /٣ / ٢٠٠٣

بدون تأشيرة

و .... حين إلتــقت عينانا.. تمنيت أن يقف القطار طويلاً تشابكت أيدينا بين عرباته ، تلاصقت معها أجسادنا وسط نظرات هؤلاء الذين تجمعوا حول المزلقـــان ، وابتسامات مِنْ بداخل السيارات على الضفتين ، رغــم قلــق الانتظار.. يجرفنا الشوق .. نلملم فرط حبات عقد الحب المتغلغلــة داخــل حصى السنين بين القضبان ..

تسألنى : هـــــل .؟

أجيب : نـــعـــــــم ..

تقـــــول ولمـــــــا .؟

أجيـــــب : الأقـــدار ..

تصدر تنهيدة أقوى من زفرة القطار ، تطاير معها ماتبقى مـــن أســـراب الحمام فوق الاسلاك ، وأوراق القصة المبتورة التى تمتزج فيها دمانا فى دوامة انكسار.. تـــتراءى لى صورها... يضطرب قلبى مع هزات القطار ودقـــات الجرس ..

يجر العامل بـــوابـــة المزلقان .. تدفع معــه عينى بقوة ..

يعود الصخب فى حُـــــلى الضجيج ..

تـــنادى ..

أصيـــــح ..

تنزلق فى طوفان المارة .

لــكــى يفتــرقــا

داخــــــــل السيـــــارة ..

يتبادل الحديث مع صديقه ، يأتي الصوت من الخلــف مناديــأ تــوكزه الذاكرة .. يلتفت..يفاجيء ..

انت ..

نعم : أصبح دون مبالاة منك ..

أسف .. لم أكن أتوقع !!

يعتري الصمت ركاب السيارة، ترنو عيونهم نهاية اللقاء الحار،الذي تحول الي شريط سينما..

كيف حالك ؟ قالتها علي استحياء..

بشوق ولهفة مقاطعا اياها : مبروك !

لقد تاخرت التهـ ، قليلاً لكن .. يصمت ..

ينم ثغرها عن إبتسامة .. تومىء برأسها ..

فى ظل ذلك الوجوم تلتــقط حقيــبتها .تكسوها حمرة الخجل . تنــهض قائلةً : لو سمحت هنـــــا ..

على جانب الطريق تقف العربة ، بدلال تدلف قدميها مودعة . . تتــدلى خلفها نظراته ترافقها عبورالطريق يلملم أطلال الــذكرى يهمــس صــديقه إستـــعد للنزول .

دموع القمر

يتـــلصص القمر خلف عباءة سوداء ، بينما يتفرس الصغير السماء الـــتي بدت تعدو ألي طريق مجهول ، يطُل علية القمر بعين تدمع ، يثـــب الصـــغير صارخا :

أمي .. أبي ..

ياتيه صوت أخيه سالم :

إبـــق مكانك سنواتيك ..

تجري أمام ناظريه الأشباح .. تزداد النيران تأججاً بالمكان تلتـــهم صـــدر ألأرض تـــقـــفز بالداية بعد أن تملكها الذعر .. تنطلق بطريق الجسرتـــتبعها أقدام سالم ، يختلط غبار المكان بغبار الدابة صوت الآلة التي تدوي .. يمســـك سالم بحبل الدابة يوثـــقها بالعربة..آنذاك يفرك الصغير عينيه بأنامله،يبصـــر. يـــــرى القمر قد إحمر وجه إختناقـــاً .. يجهش بالبكاء تعدو نحوه الأشباح . تـــتسع حدقة عينيه .. تعلو ضحكات الأهل يتملق الصغير قائلا : نعـــم أبي ،أمي..

لكن قد اتسخت ملابسهم وملأ وجوههم التراب تعلق بهمـــا .. تغـــادر دمعتة سفح الخد ، حملاه فوق العربة بجوار أجولة الحَب انطلق بهم سالم عائدين للمنزل ، بيينما يلتفت الصغير يرمق الدخان يتصاعد ، يغـــازل عين القمـــر وقد بدت تنهمر منها رخات المطر

* نشرت بكتيب إبداع (١)الهيئة العامة لقصور الثقافة بمهرجلن بلبيس الأدبى

ملك و ملك ...!

أمـــام المتجر الوحيد محاولون الشراء ..

أخذت تصارع أقدام البراءة العدو ... تتعثر ببقع الدماء المتناثره. تقفـــز من فوق أشــــلاء الجثث ، وأنقاض المبانـــى .

طلقات تمزج الألوان ليكسو القاتم في النفق ... يلهث إيـــاد ذوالثانيـــة عشر' ،، يتبعه طفل يصغره ، تسابق دموعه عدو أقدامه ... صـــوت دوىّ ... ظــل يجرى صداه خلف غبار المكان الذى احتوى الولدين بل ســـبقهما إنفجار أخر .... صرخات تعلو ، يختبئان بالمبنى الذي صار يتهاوى ... ظلام دامس بالداخل يلتهم عيون المدافع ، زفرات خوفٍ تعلو مع يقظة الســـكون ... يقيم إياد رأسا على صوت نحيب بالجانب الأخرَ .. يتـــذكـــر .. نعـــم.. الطفل الذي كان يتبعـــنى .. يصرخ .. لاتبكى ســـأحاول إخراجـــك ... إسمعنى جيداً سنحاول إماطة جزء من الجدار.. يزيد نحيب الطفل بعد سمـــاع صوت إياد ، ثم يخرج عن بكاءه الذى لازمه فتره .. لقـــد فقـــدت والـــدىَّ بالحافلة آلتي دمرت ، أصبحت غريباً بدونهما.برغم مولدي فوق ثـــرى هـــذا الوطن .. ينطلق لسان إياد مثنياً عليه : أستشهد آخى الأسبوع المنصرم ولقى والداي حتفهما تحت أنقاض المنزل .. يتبعني الجنود ،تطـــاردني آلـــة حربيـــة تدفعني نحو الغربة ،لكنى لن أذعن لتلك المدافع والجرافات .. بدا ثقب كـــبير في الجدار.. أخذ إياد في جذب الطفل ليخرجا سوياً نحو الضياء الـــذى بـــدأ

يتسلل خلال أنفاس الصباح ، ينظر إياد نحو الطفل الذي بدت ملامحه غريبـــه بعض الشئ .

مااسمك ؟ يجيبه بعد ان أخذ يتنفس الصعـــداء ..

رابين ..يقدحه بنظرة إنتقامية تستعر معها براكين الغضب داخلـــه يكـــاد يطبق عليه بكلتا يديه ينم ثغره الصامت عن زفرة داخنة ... يصرخ بوجهـــه ليس وطنك بل وطني ... سرعان ما يولي ظهره عنه عائداً للمخـــيم يتبعـــه كابوس رهيب ... تقع عيناه على المتجر يدس يمناه داخل ســـرواله مخرجـــاً العملة الوحيدة جيبه ... يبتسم الرجل بوجهه رافضـــاً أن يبيع لـــه شيئـــــاً قائلاً : عملتك غير صـــالحه .أنظر قد سُك على وجههـــا ملكـــــان .

وقفة السعفان

فى ثورة عارمة .. يتشبث الرجال بحافرالحصان ، بينما كنت عازماً الخروج على استحياء .. اتوارى خلف وحدتى تحت عينى الجمع .. دارت بخلدى أشياء عدة .

اعله يمثل شيئا .. !!

الأمر الذى جعل هؤلاء ينطرحون من حوله حملقت .. أنه مجرد تمثال ، لكن ربما !!

تأملت ساحة المتحف وجدت بين ثنايا ضلوعها تسكن ذكرياتى ، حيث اللهو بـ .. "وجهة السعفان" التى لم أعلم سبب تسميتها بهذا الأسم .. تلك القطعه من القريه والتى تقع على مشارفها باهلها الطيبين .. تكاد لاتشعر بوجودهم .. يبنون خلاياهم فوق ربوع الطبيعة على اهازيج الطيور وترانيم المئذنة ...يمط ون الأرض عندما تهدم أبواب الشدائد .. تتسع حدقة عينى على ذلك الحوت المتخفى تحت شلال أمواج الحجارة تلتهم عيدان القطن وخضار البرسيم . تدق ظهري سعلة قوية يحدثها دخان هذا الجبل

إستقبلت ساحة المتحف بعد أن عم الضجيج أذنى ، كانت قد عجت برجال الأمن .. يريدون حمل الحصان للمدينة ..

مازالت القبضات عالقة بحافره .. تدوّى أسئلة البراءة ..لما التصميم على بقائه ؟

أخذ الصراع مداه ..

بينما يبتسم الكهل لوقفة الرجال الشجاعة ..

يدون فى قراطيسه ... هوجة ثانية للسعفان .

قطـــار الحجـــز

يبكـــي خـــوف الظـــلم فـــي عيـــون الفقـــراء .. ترتعـــــد أقـــدام النهـــار . ببطيء تسير ..تخشى قدوم الليـــل حالك السواد، نحـــو اللوحـــة المدون عليـــها ميعـــاد قيـــام القطار، أخـــذ " كرامه " في التملق .. يربـــت أخـــاه على كتفـــه قائـــلاً : يالله بينا ختمت التذكره .

كنزع الضرس يبدأ كـــلاً منهمـــــا في تخليص جسده من بـــين جمـــوع الركـــاب المتكدسة أمـــام الباب ، في تلك الطرقة الممتدة بين المقـــــا . قبل أن تمتد قدم نحو منتصف العـــربة الثانـــي ، تقع عيناه على ذلك المقعـــد السداسي قائلاً : تسمح ياحج ..

بنبرة حزينة : أتفضل ياولدى " اللـــي مايرضاش بالخوخ يرضى بشرابه " .. بدأ التطرق للتعـــارف بداية عن مكان توجه القطـــار ومحطـــات وقوفـــه الرئيسية . على عجل من أمره يلحق الأستاذ "جمعه" بالقطار . يلوح بيمناه . يدنو من "كرامه" معانقاً ..

يترك له مقعده . يتشبث الأستاذ جمعه ببنطاله قائلاً : وأنت !

مداعباً إياه بإبتسامة : هاركن على الشبكة ..

ينشق القطار عن هيكل فرعوني الجسد ، كأنه رمسيس وعـــادت إليـــه الروح مجدداً . بصوت فظ : بطاقتك ياولد ..

بنظرة تملأها غرابة يجيب كرامه : ولد ! تلك هي البطاقة أنظـــر أليهـــــا جيداً .. وبإتجاه كاتب المحضر تمضى البطاقة بين أسنان ذلك الوحش الجائع .. داخل الغرفة ..يجلس أخر تعلو هـــامته بسمات السخرية ، يضع أمامه كومة من الورق لاينقصها سوى التوقيـــع بلسان السخرية قائلاً : " أمضى ياكرامه

على المحضر " يجيب كرامه بعد أن نظر في ســاعة يده : ماشي ياباشـــا تحت أمرك .. فى الخارج ينتظر آخر يقوم

بإيفاد كرامه نحو ضابط الشرطة . بالطريق يثنى عليه الأستاذ جمعه قائلاً : " ياريتـــنى ماشفتك ولا سلمت عليك " ..

أمام الضابط دون التفوه بكلمة واحدة يميل الرجل :" ده مسطح ياباشا " ..

يهمس الضابط بأذنه قائلاً : " شوف لنا كمان تلاته سرّيحه "

ثم يأمر بإيداع كرامه داخل الحجز ..

تمر الثوانى أيام تتبعها شهور من الدقائق ، بعد فترة يأمر الضابط بإرساله للقسم مغـــللاً بالقيود ..

بالطريق يكادا أخاه والأستاذ جمعه يبكيان كرامه الـــذي صـــار يبصـــق الابتسامات بوجه الحرية ..

داخل القسم .. يخلى سبيل كرامه . يترجل الجميع للحـــاق بالقطـــــار الثاني ، يبدأ العدو فوق الرصيف على أنغام صفير القطـــار، متخطين عربات الدرجة الأولى والثانية ..

مرة أخرى يستخلص كرامه جسده بصعوبة يتبعه الأثنين .. ناظرين لأعلى تصدر منهم ضحكات عالية ، ضاربين بالكفوف ..

تـــتمتم شفتا امه :

"واللــــــه اللـــى فوق أكتـــــر مـــن اللى تحـــــت . "

صمت القبور

بعد غروب الشمس ..
تعدو ظلمة الليل الموحشة تغطى دابر الأرض خلف مـــاتبقى مـــن نـــور الياس..
تمرح الذئاب فى ظل سكون الموتى ...
تعوى..
تصم عنها آذان أهل القرى .. يرتد الصدى عويل ..
تحت شجر الزيتـــــون يختلط الزخـــــــــم بالأريج ، يعجز الغـــراب عن مواراة سوءة أخيه .. يطير .. يلهث ..
تظل القبور ساكنة موثـــقة الأشباح ، تـــثغو الذئاب فى الرفات .. يحـــط الغراب فوق الصخرة .. يـستفرس السماء .للأبابيل يرنو

* نشرت بكتيب (الشعـــر حياً)
مهرجان بلبيس الهيئة العامة لقصور الثقافة فى ١٧ /٢ / ٢٠٠٣

ثلاثة كلمـات

صوت ينادي بثلاث كلمات ..

مع أنفاس الصباح قبل أن تخرج الشمس من مرقدها ..

عازمة الرحيل .. تخرج رحاب على عجل من أمرها تحمـل حقيبتـها .. تـشب بها أطراف أناملها تـتملق شرفة المترل .. بنظـرة وداع . تـنهمر دمعتها على سفح الخد . بعد أن وقف بهـا الطريـق . تحـاول اسـتقامة فقراتها.تلتفت..

تطرح حقيبتها . تدب في أوصالها رجفة .. تركن قليلا لـذلك السـياج بالطريق تلتقط أنفاسها مازالت كلمات البارحة تدور بخلدها : لن تسـتطيع الخروج ستظلين ، كذا أبد الدهر ..

لقد فاتك القطار . أتصغين !! فاتك القطار .

تنهال عليها الصفعات تاركة بصمات أصابع على ذلك الوجـه الرقيـق الذي أخذ يتمايل يمنة ويسرة ..

بإعياء شديد بجوار ذلك السياج تجهش بالبكاء ..

ارحمني .. تصيح .. تستيقظ بعض العيون بنظرات الدهشـة تتعقبـها .. حاملة حقيبتها تسير .. يلتوي بها نعل الحذاء تعيدها إرادة العزم . تقترب من الضجيج . يلوح لها رجل بقارعة الطريق أن تسرع تبادله الاشـارة تسـقط

حقيبتها .. تدنو .. تلملم أشيائها تـقبض بنصل علية بعـض الـدماء قـد إجتـزت به جميع أواصر الذكرى .. تدسه داخل الحقيبة بابتسامة.
هنا يسكن بركان الدموع داخل عينيها ..
تسرع مقبلة.. كأن السحاب ستحملها ..
يجوب أذنيها ذلك الصوت الذى ظل يلوح لها ..
محطه .. محطه .. محطه .

حلـم رقيـة ..!

تسطـع شمس الغـابة تجـوب الأفق . تغفـو الـذئاب بعـين واحـدة
الأخـرى تـتفـرس جـوارح عنـان السـماء تتـلقى منـها إشارات الغارة
لهث ألسنتهـا متعطشة للدمـاء الدافئـة . غبـار الوحـوش الضارية
زال عالقاً بالجو. يتسلل شعـاع من بـين ثنايـا نافـذة بيـت رقيـة القابع بقلب الغـابة . يوقـظ عـقل الواهنـة وجلـة العيـن مـن حلـم العمر المراود ..

بنبرة العجز الخافتة تنتزع الكلمـات : أحمـد .. عيسـى ..

ينتصبا واقـفين . فلقد اعتادا جرأة الفزع ، يلتقطا الأنفاس ..

عمت صباحـاً أم .

يخرجان كلاً يعرف طريقـه ، يرمـق عيسـى النخلـة الباسقـة تحكـي الذكريات . ينحني . يقبض بـالكف الصـغير بعـض التمـرات . يعـود أدراجـه ، يرنـو أحمـد الماعـز . يدنـو منـها . تداعـب أنامـل كفـه الأيسـر خصـلات وبرهـا بينمـا تـدر يمنـاه اللبن ، تستـشعر الماعـز الألفـة بعد إنقضـاء ليلـة الفـزع تهـز بزيلها الصغيـر ، تـثغـو فيما خلفته الحرائـق مـن مراعـي . تجهش ألأم بالبكـاء لقد غـادر صلاح الإبـن الأكـبر .. تسقـط

دمعة الوحدة .. تليها دمعة العجز . تنهمر دموع الخوف ..

ـــ بسم الله . الفطور يا أم .

فجأة يشرد أحمد ، يضع ما بجوفه . يركض خارجا . يتبعه عيسى قائلاً : ماذا هنالك يا أحمد .؟

آلا تصغى ياعيسى ! لا أسمع صوت الماعز ، لقد شطت خارج حدود البيت ..

هناك عبر الأسلاك ، وقفا يتأملان الذئب يلتهم أحشائها .

كعادته عيسى يقذف الحجارة ، يكشر الذئب عن أنيابه . يعوي.

يضرب بحافره الأرض يأخذ أحمد بساعد أخيه ، بنبرة الحسرة : هيا بنا لاجدوى .

تحمل كوامن النفس شهوة الأنتقام ..

صوت رقية ينادى : علام الركض ؟

يجيباها : لاشيء يا أم .. كنا نتفقد الماعز ــ القول لأحمد ــ وجدهما شاردة أوثقتها بجزع النخلة يحدده أخاه بنظرة إستفهامية يربت الأخر بيده على كتفه . يومأ عيسى برأسه . تغفو رقية ، يحتدم الصراع برأسها .. يراودها الحلم المنشود ..

خارج البيت يسكب عيسى الماء فوق جرف الأرض ، يصبح طيناً ليناً ، يتلقفه أخوه بعدا ترميم البيت وميض بجوف الليل سحيق السواد ..

يعود البرق القاتل مصطحباً الرعد ، داخل رداء الشتاء المنهمر المطر فوق الأشجار الكثيفة تبكى الأوراق.. تخرج الذئاب ممتطية ثياب الرعب . تثقب جدار البيت. تحوم حوله تعوي .. تخير المخالب يكاد يصعق آذان رقية المستلقية بعينين وجلتين تجوب

المكان .. يراوده الحلم يقظة .. ببسالة الشجعان يقف الطفلان جانبي الأم يحمل أحمد عصاه وعيسى حجره الأخرى متشبثة برداء كلا منهما .. تتصبب عرقاً

فجأة يسمع دوي هائل بالخارج ..

تركض الوحوش ، بكثف عويل الذئاب .. يتصاعد الدخان .. يحجب الرؤيا .. تغادر الجوارح ..

صوت ينادى بالآفاق : أحمد عيسى .. ترنو الآذان تحدق العيون يهوى حجر عيسى . يلقى أحمد عصاه

إستيقظت داخل الأم شهوة القوة تفوق العجز ترنو حلمها .. تستجمع قواها .. تحملها الأقدام .. يد الصوت القادم ، تخطو الأم يرمقها عيسى يكاد يعتلى هامتها ، تحتضنه .

يفتر ثغر أحمد عن إبتسامة عريضة ، يركع مقبلاً يد الأم ، تتحسس الأخرى فروة رأسه بحنان .. الطلقات النارية مازالت تدوي خارجاً .

يدب الأمن أوصال رقية .. تتعانق الأيادي تتنافس فيما بينها على فتح باب المنزل .

يفرق القادم فروع الأشجار الكثيفة .. يظهر عبر الشعلة ملتوية المسار يلقى بها فوق كومة القش يشع الضياء أرجاء المكان يصيح الطفلان طرباً .. لقد عاد أخانا .. عاد صلاح يطلق أعيرته النارية يجوب صداها الغابة .. تدنو رقية لترى حلمها حقيقة ملموسة فوق كتف صلاح .

درس اليوم

داخل منزل الحاج فوده شيخ الخفر .. يختلس الخفـير وهـدان النظـر .. يرقب (محسن) أصدقاؤه الطلبه يتـنافسون فيمـا بينـهم علـى رفـع سماعة التليفون ..

يظهر حلمى داخل نطاق نظر وهدان عـبر البـاب المـوارب قـائلاً : مسابقة اليوم سهلة جداً اليوم الاربعاء ..

فماذا سيكون الغد ؟ الخميس أم الجمعة أم السبت .

إذا عرفت الحل إتـصل . !

ينتصبوا واقفين : الله اكبر ..

على الجانب الأخر يهرع الخفيروهدان تاركـاً بـرج المراقبـة قاصـداً تليفون الدوار .. يدنو .. يقبض بكلتا يديـه :

آلوه : آلوه : إديني وحياة أبوك الرقم ده ..

عبر الهاتف يقول المجيب : ظـل معنا ..

يمنى نفسه الخفير وهدان ويظل الحال حتى مغيب الشمس

تلك المرة ينفجر قائلاً :

آلوه : (آنـــى) الخفـير وهـدان مـين معايـا مهـرولاً يترك سماعة التليفون تـتدلى ..

فلقد أجابه الصوت : أنا البيه المأمور .

الوشـــــاح

تزيح الشمس، بردها الذهبيـــة عن وجهها الساطع،يعدو..

يتصبب الرجل عرقـاً ، تحمـل أذنـه صـوت الأعـيرة الناريـة .. الصادرة من المذياع .. تطأ قدماه القريـة ، يمـر امـام المقهـى زال بعـض الرجال ينبعث من افواههم دخـان لايختلـف كثيراعن ذلـك الـدخان المتصاعد داخل التلفاز ، نحيب الثكلـى .. صـرخات الأطفـــال .. دماء ذكية ..

ترجل . أسـرع الخطـى ، تلفـح وجهـه نسمـات أحدثـتها أسـراب الحمام المغادرة .. قبـور صـارت المنـازل ، يصـعد الرجـل الدرج يتبعه صدى نعاله .. يسرع بفتح النافذة يجد جاره ..

تـتسائل عيناه ، تاتى غمغـمة الحديث مـن فـوق أسـطح المنـازل .. يهم بالصعود.. يجـد رجـال القريـة ضـاربين بـالكفوف.. يرمقـون النساء اللواتى تركن الـديار خـرجن مرتـديات الأوشـحة السـوداء خلفهن الأطفال تعـــدو .. يتدلى الرجل بناظريه ..

تجلس بقارعة الطريق ، هرول قاصدا إياها محدثاً ذاته :

لعلها لم تستطع اللحاق بهن . كيـف بقيـت وحيـدة هكـذا تـدور بخلده أسئلة عديدة، ينم ثغرهـا عـن ابتسـامة تعيـد للشـمس بردهـا الذهبية

تباغته قائلةً :

كل سنة وانت طيب يابنى .. النهارده خميس رجب .

* كتيب إبداع (١) مهرجان بلبيس
الهيئة العامة لقصور الثقافة

سـلامـات

بدا الكابتن شاحب الوجه ..

يحمل رأسه بين كفيه ..فمـا زال يخشـى علـى والده،الـذي يجـري فحوصا طبية بعاصمة الضباب ، تتعاطف معه قـلوب محبيه ..

ظهر ذلـك جليـاً خـلال رنـين آلهـاتف أثنـاء عـرض البرنـامج التلفزيوني" نبأ عاجل " الذى يستضيف الكـابتن ..

ترقب العيون الحمراء الحديث ، يكاد الدخان يحجب الرؤيا ...

يحمل شيحـه (الجوزه) ..

يسير مترنحا يدنو بناظريه يعود متعرج الخطى ..

يوخز صديقه بندق الذي إنكفأ فوق منضدته إثر خوار صدره ..

ترتعد أنامله محاولا الأستـفاقه :

إيـه ..!

في عملية استشهادية تأتي ولا إيـه..

شيحه زجراً :

لا..يا سيدي :

ده أبو الكابتن دخلوه مستشفى آلتأمين بلندن .

تُرى سَيراهُ بَعد .. ؟

تبكى السماء أجراما .. تمطر شهباً .

أجساد ترقص على أنغام الدوى ، صيحات براءة تنطلق بين لهود قد جفت .. أفاعى تتحرى فرائسها ، ريح تخشى السير فى الطرقات شلال أقدام يندفع نحو الدهليز المظلم .. يتراكم فى دوامة إنكسار .

تدلف معه قدم " أبو فلاح " الذى أخذ يتحسس الوجوه عبر وميض الدموع المنهمرة ، متعثراً بسكرات الموت ..

جرس هاتف ، بشغف ولهفه تتطلع إليه الآذان ..

ينزعه من سرواله ..

نعم ابوفلاح .. أحدثك من بغداد .. أقسم أننى .. هو .

– أما زلت تذكرنى ! قالها وهو يحبس أنفاسه داخل جوفه

حدثنى قدر ماتستطيع .. صافرات قوية ، أزيز صاخب عفواً .. " إبق معى " .

ينطرح أرضاً .. يتمدد .. يتكور .

مرة أخرى يخيم الصمت الذى أتى متأبطاً السكون بزراعيه . يلقيان بظلالهما داخل الدهليز المظلم ..

أبو فلاح .. أبوفلاح .. هكذا ظل يردد الهاتف .

* نشرت بكتيب إبداع (٢) الهيئة العامة لقصور الثقافة مهرجان بلبيس مارس ٢٠٠٤

نـحـــــن

تدوي الأحداث داخل ذلك الصندوق الذي تحتويه العيون ..

تتفاقم المعاناة ..

تتناثر بقع الدماء الذكية ، تلطخ وجوه المشاهدين ..

يعض كل علـــى أنامله..

ينتفض العجوز من ركنه القصي صائحا :

ما ذنب الأطفال البريئة والشيوخ والنساء ....؟

أصبح ذلك فيما بعد سؤال يتردد على الألسنة ..

أسفل خيمة الشمس القرمزية الـــتى تمتـــد أناملـــها تختـــرق الفضـــاء الداخن، تـــتـــشبث قابضةً باوتـــاد ألأرض الـــتى تختفـــي بـــين ثنايـــا سفوحها الوادي .. يعدو العجوز ومن خلفـــه بعـــض الشـــباب الثـــائر طلبا للثأر ..

تحلق أصواتهم فوق قبة آذان الصُمْ ..

يرتد صداها قـــتـــــله .. قـــتـــــله .. قـــتـــــله ..

ينتهي بهم الطريق أمام الجسر ..

ينحني كل منهم ،يغترفون بكفوفهم مياه الـــوادي بحثـــا عـــن الصـــبر الكامن..

يثب الكهل بعد أن تـــترائي له صورهم تتراقص بفعل المياه ..

ينزع ملابسه ..

يلقي بنفسه بالماء صارخـــــــــاً.

حديث النافذة

يتكأ على كرسيه أسفل النافذة، يجوب بناظريه الطريق ..
غاب صديقهُ لم يعد يمر وذلك الشاب برفقته..
لقد اعتاد رؤيتهما صباحا ..
ينهض .. .يخطو داخل الردهــة.يســتدير ..أخــيراً ســكن نافذتــه قابضا بكلتا يديه ، يطل برأسه بين القضبان ..
تحصى عيناه حصي الأرض ، كاد الرجــل أن يبكــي ذكــراه أبــان كان مديرا للمدرسة الثانوية..
يضيق صدره .. يختنق ..
يمر الشاب وحيدا مترجلا ، تقع عيناه علــى النافــذة ، يرثــى لحــال الرجل .. يباغتةالشاب قائلاً :
صديقك يقرئك السلام ..
يرفع الرجل رأسه مبتسماً :
والله ..! يلتفت ، ثم يعود للشاب بناظريه قائلا :
أرجوك أبلغة سلامى ..
ظل يرددها ..
يرمقه الشاب ملوحاً تعلو وجه الابتسامة ..
يهمس الرجل لنفسه :الحمــد لله . مــا زلــت موجــوداً .! صــوت الزوجة ينادى عبر محيط أذن الرجل :
" مش هاتجيب عيش الهارده " .

الخلاص

تمـر..

تحمل نعلها تحت إبطها،أثناء مرورهـا علـى قـوم الرجـال الجالسـين فوق المصطبة محاولين تضميد جروح متولى

ووهدان بعد خناقة الجسر من أجل فرق الحد .بعيـداً عـن مشـاغل العمدة، وشيخ الخفر القوتين الأعظم بالقرية..

فجأة تصيح يتبعها صوت محمد ..ينادى:

"الحق يابا الجاموسة بتولد"

يعدو البعض .. ترقب عيـون القلـق والخـوف الجاموسـة، بنشـوة سعادة ..

ينصرف الجميع بعد أن غالبهم النعاس ، لقـد كانـت ليلـه قاسـية.. تاركين الرجل يشعل نيران الموقد لتدفئة المكان..يحتسـى قـدح الشـاى.. يهمس لزوجته أن تستريح قائلا:

أنا ها أستنى الخلاص.

الإدلـــــار..

بعد أن سكن البدر كبد السماء ، وصـــارت النجـــوم تغـــازل عيـــون الليل بوميضها ..

يعود.. تتملكه نشوة غامرة من السعادة ، يفرق بجســـده تيـــار الهـــواء البارد حتى يصل إلى ذلك المـــنزل ، يصـــعد درجـــات الســـلم، ترتجـــف أوصاله ، يتدلى بناظريه أسفل قدمه ..

يهم بالصعود.. يلتوى به رسغ القدم عنـــد تلـــك الدرجـــة المكســـورة ، يحميه الدرابزين من السقوط..

عند الجرس مقـــتبلة البـــاب تـــتـــشهد ســـبابته .. يميـــل بطرفـــه يتأمل تلك الدرجات ، فلطالمـــا أرخـــت جبينـــها لنعالـــه ، أحيانـــاً كـــان تتلقفه فيما بينها كالكرة .. توقفه طويلاً عند انعطافاتهـــا قبـــل أن تُســـكّنَهُ أمام ذلك الباب الذى لم يبعد عن خلده قيد أنمله ..

بصعوبة ينتزع أنفاسه من داخل جوفه ...

يضغط..

أطلت تملأ قسمات وجهها ابتسامة ويغمر عينيها حزن دفين..

إتفضل...!

حالاً القهوة ..

جلس.. تتفرس عينـــاه المكـــان ، وتســـترق أذنـــه الســـمع ، مـــازال صدى صوتها يعج بالردهه ، يتسلل إلى حنايا صـــدره وذاك العـــبير الـــذى

لم تنقطع فحواه . بيد أن السكون كان له الغلبة ..

يعتـــلى بناظريه .. وجدها تبتسم داخل إطـــار ذلـــك الـــبرواز وقـــد تورد وجهها .. بإمعان النظر فى عينيها يمتطى جوادالذكرى ..

تباغته قائلة :

مجنون ..!

ألم أعهد إليك ألا تراني سوى بشارع الصـــدفة . مـــع ذلـــك لم تنثـــك رغبتك الجريئة فى القدوم..

أجاب بلهجة لينة : أعلم لكن .. مجنـــون كمـــا قلـــت ولـــيس علـــى المجنون .....

ثم همس " .. بجد وحشتينى .."

بإبتسامة خجل ازدرت معها ريقها وزاغ بصرها :

ــــ ما ينفعش ..

ألم يخامرك الشك فى أن يرانا أحد..!

إبتسم من فوق جواد الـــذكرى الـــذى إنعطـــف بـــه وكأنـــه نفـــس الحديث الذى دار من قبل ..!

حيث .. نظر إليها واستطرد بهدوء ورزانة :

الشمس بصدر الأفق .. فما الخطأ فى ذلك ؟

رفقاً سيدتى بذبيح القلب .. فـــقد كـــان حلمنـــا قـــاب قوســـين أو أدنى بيد أنـــك زججـــتنى داخـــل فـــم الشـــرَك ، وتركـــت لى القلـــب حارساً..

حملقت فى فضاء الكـــون تغالـــب عينيهـــا عـــبرة ، أضـــفت عليهـــا الشمس سنا بريق من شعاع وأطرقت برأسها لبرهة ثم قالت :

"النصيب .. النصيب والله ..!"

قاطعت حديثهما دقات الساعة المعلقة فـــوق حـــائط الردهـــة بصـــوتها الصاخب .

لكنه عاد .....

يـــردد كلماقمــا .. النصـــيب .. نعـــم .. وســـرعان مـــا لـــبس رداء المتماسك القوى الحاكم بأمره فى جميع حواســـه وجوارحـــه ، وقـــد بلـــغ الجزع به مداه ، تحمل كوامن نفسه جبال مســـتعرة مـــن اللـــوم والعتـــاب

أطفأت لهيبها إبتسامة رقيقة إرتسمت على فيهـــا . وتلـــك الكلمـــات التى نم عنها ثغرها ..

—— " تيجى نغير الموضوع " ..

أوقفته لحظة متنهداً ثم استطرد : " وحشتنى عنيكى .."

ضحكت قائلة : تانى .. انت مش ممكن ....!

حدق رَأدُ الضحى فى وجهها قائلاً:

مجنون ..!

ثم تراجع خطوة للخلف بنصف انحناءه شاهراً ســـهام عينيـــه بمقلتيهـــا قائلا : ممكن أوصلك يا فندم ..

عادت للبسمة قـــائلـــة :

مش بقولك .. ما ينفعش ..

أمام إلحاحه الشديد وإصـــراره وافقـــت علـــى أن لا تـــتكرر تلـــك الفكرة المجنونة ، وأسرعت تلتهم الطريق بقدميهـــــا كـــأن عيـــون العـــالم ترقبها ، بينما عيونه لم تـــتوان لحظة عن ملاحقتها ..

لا يعلم هل يرتدى عباءةالفرحة بمجرد أنها معه؟

أم يكتفى بها معلقة فوق كتفه !

بيد أن قلبه صار ينبض بدقات سريعة ، اهتزت علـــى إثرهـــا نباتـــات عشبية خضراء نمت على جانـــب الطريـــق ، همـــس بمســـيس موشـــى بالطرب ، وكأنها تعلم قصتهما منذ سنين ..

نظرا إلى السماء التى مازالت ملبدة بـــالغيوم، وكلاهمـــا يضـــمر أمنيـــة يعجز اللسان عن البوح بها ..

جعل يحملق فيها .. ربما تريد أن ينتهي بنا الطريق سريعاً–هكذا وشت بها نفسه ..

بنعطفا أمام نافذة المقهى ، تستوقفه فجأة قائلة :

أريد مشروباً دافئاً..

هم على عجل من أمره ..لكنها أصرت على أن يكون المشروب على نفقتها ، وسط الوجوم الذى تملكه – كأنها تريد أن تضع حداً لتوقظه من حلمه القديم– مرة أخرى بهذا الحديث دفعت إليه به سرائره ..

حدق غاضباً وخشى نهاية الموقف الذى كاد أن يطول مداه ، لولا ذلك الصديق الذى ما إن وقعت عيناه عليهما إلا وأحضر لكليهما مشروبا، فشكراه مبتسمين ، ومع كل رشفة صارا يتراشقان الحديث بالنظرات ..

تقول نظرة أرشقها .. لم أبقيت على تلك المسافة بيننا ؟

ولِمَ كان الـ ...

تجيب بحديث نظرها مقاطعة :"غصب عنى والله .. صدقنى.."

سكت لحظة متنهداً ووضع قدحه بعد آخر رشفة ، يلح عليها السؤال الذى طالما تطرحه عليه كوامن ذاته ويغمر تكوينه ..

وبإطلالة تحزوها الأمل فى الإجابة يهمس إليها :

أحقيقةً كان الحب .. ؟

تخرج عن صمتها الذى لازمها لبرهة قاطبةً بين عينيها ودهشة:

الله يسامحك ..

فيما كنت تسمى تلك السنين إذاً...؟

أقبل عليها هامساً : استشعرها حلال جوارك .. أستنشقها من عطر عبير أنفاسك .. أحسها .. أتلمسها .. أعلم ..

ولكنى أريد أن أُسمعها إياه كى يهدأ خفقانه ..

إستطردت ولكن تلك المرة بـــدلال وأســـكنت القـــدح الـــذى ظـــل يترنح كثيراً بأطراف أناملها قائلة :

" تفرق معاك كثير ...."

بلهفة منه أجابها :

" تفرق عمر ...."

أرخت أهداب عينيها الطويلة التى يســـكنهاالليل، ثم رفعـــت ســـتائرها عن بريق سرمدى لا ينساه النسيان ، وترنمت بنغـــــر عـــذب عـــن أسمـــى معانى الكلم وأجمل حروف الوجد ...

يقاطعه وقع الأقدام بالردهة ..

تقبل نحوه ..

يترقرق الدمع فى مقلتيها .

يتراقص على رعشة يديها قدح القهوة فوق الصينية قائلةً :

قهوتك يابنى ..

بيد أنهـــا تعثرت بإصيص الصبـــــار ..

يثب من مكانه بعينين ذاهلتين مستقبـــلاً الباب

مربتاًعلى كتفها تتمتم شفتاه بالحديث :

لقـــد شربت .

* سجلت لإذاعة وسط الدلتا برنامج جولة فى قصور الثقافة مارس ٢٠٠٤

الجانب الآخر

في ليلة سكن فيها القمر ..
تشرد ندى بخلدها ..
صوت الشيخ ذو العمامة يجوب أذنيها دون جدوى ..
مين وكيلك يا بنتي ؟
هكذا يجرها صدى الصوت للذكرى ..
فتاة في التاسعة عشر تختال كأنثى الطاووس تتوسط مثيلاتها ..
يرمقها ممدوح خلال الشرفة يكاد ينفطر قلبه شوقا إليها..
تقذفه بنظرة. تلتهم أقدامة الدرج قاصداً والدته ..
تنطلق الأم فَرِحة عابرةً تدفعها أنفاسها داخل المنزل ..
تحتضن أم ممدوح ندى هامسةً بأذنيها :
أهلاً بعروستنا الحلوة..
ينطلق كل الي الداخل علي استحياء وخجل..
في رداء من الصمت تَسترق آذانهم الحديث ..
داخل المحيط الدائري أعلى الردهة ، ينطلق صوت البلبل ،
ليدخل والد ندى مرحبا بأهل الضفة المقابلة..
زغرودة تدوي .. تفتح النوافذ المغلقة ..
قرع نعال ، دقات طبول عبر الأذن ..
سلم موسيقي هكذا تحولت صرخات الدرج.أفواه تتبارى التهاني ..

يعقد الشيخ ذو العمامة القران ..
تنتقل ذات الثوب الأبيض للضفة الأخرى ، تعبر الطريق ..
هذا كل مافعلته ..

عبر الحدود .. يتبدل الحلم بالواقع ..
يمسي ممدوح سكيراً، يضحي حاد الطبـــاع ،تنـــهال دمـــوع نـــدى عبر جدار البيت لتتزلق فيها أقدام الأهل .. تغمرها..
يصل الأمر منتهاه أمام القاضي خذةً حريتها المقيدة..
تعبر الطريق صوب العائلة تحمل أحشائها ألما.آملاً ..
تمتد اليها آيادى مبورة .. يشب مولودها ، تحمل مقلتيه الوعد .
يقترب محسن صديق ندى مداعبا الولد ..
تلوح في الأفق شمس الحب من جديد ، يـــدنو محســـن بصـــوت رخـــيم خافت .. نـــدى ..
آنذاك تخطو نـــــدى بدلال ..
يهمس : نـــدى أنا .. !
نستطيع أن نبدأ من جديد ..
يبتلع ريقه تلك المـــــرة بشجاعة : أنـــا..
تقاطعه ندى آنذاك بأنامل رقيقة أصمت بهـــا شفتيه قائلةً :
تحدثني عيناك ،أتوارى عنهما ، فأين لي من هروب.؟
يقاطعها : ما زلت أحبك ... أقولها على أملأ...
آن الأوان كي يندمل الجرح ..
تقاطعه مرتعدةً مستاءة قائلةً : خائفة .. خائفة . .
تعدو قاصدةً البيت . تلقى بهمـــومهـــا على أعتاب الأم ..
ينطلـــق صوت البلبل .. يدخل محســـن ووالـــد نـــدى معهمـــــــا الشيخ ذو العمامة- وسط دهشتهـــا - تبتســـم . يتملكها الوجوم
يردد الشيخ : مين وكيلك يابنتـــي ؟ تجوب صداها أذنيهـــا ..
آنذاك تعـــــود أدراجهـــــا قائلــــةً : أبـــــــــي ..
تحمـــــل طيات صدرهـــا دقـــات خوف ..
فمـــازالت تخشـــى عبـــــور الطـــــريــــق .

و ..... قال البرج

تـــُقبلُ على أســـتحياء . تـــُـــقـــَــــــبل الأرض أطـــراف أناملـــها ..
تتكفأ على منضدتي بينما كنت مهتما بقراءةالجريدة ..
من فضلك اقرأ لى البرج ..
بتلعثم قلت لها .. برجي الجــدى .. عادةً لاأقرأه ..
أستطردت القول :
تدرى أن هناك علاقة بين برجينا!!
إبتسمت بصوت مسموع :
كذب المنجمون ..
توارت وراءالخجل .. ينطفىء وميض كبرياؤها ..
بركن قصىانطوت على نفسها ..تـــلمع عينيها حزنا..
يشكو صدر مكتبها طعـــنــــات القـــلـــــم ..
طفت وجهها دوامة من الغضب ،غمرت شموخ أنفها ..
قبيل الوداع .. رمقتنى عاقـــدة الحاجبين :
لماذا لم تقرأ لى البرج ؟
أجبت : خشيت الإحراج ..
استطردت مستفهمة : قراءة البرج لاتحرج ..
ما الذى قاله برجى؟
تلك المرة ..
ابتلعت ما في جوفي من ريق .. فك لساني شفرة التلعثم ..
يقول برجك :
هناك شخص .. .. تقـــــع عيناكى عليه الان .

تحت الطلب

تـــنم آخر الليلة عن صيحة تعلو المآذن . تهز أركان البلدة تـــنذر بمولد يوم جديد ، لم تحدده معالم الشبورة الكاسية .يستيقظ رجب متسللا يحمـــل منشفتة ، يلطم وجهه بالماء . تـــنـــتـــفخ رئتاه شهيقاً

يرتدى ملابسه ، علي استحياء ، يغادر . تـــتعـــقبـــــه الزوجة الـــتي أيقظها صوت الصنبور وتقوم بدورها تـــتـــفرس السماء . تـــتضرع ربنـــا يفرجها عليك يا رجب ، يمر رجب بالطريق قائلا :

صباح الفل يا عم يونس

صباح الخير يا رجب يا بني :

– لسه الزيت ماقدحش.

– يكـــفيني سندوتش المسلح .

بابتسامة صباح (الله يسهلك يابني ويفك ضيقـــتك)

يلتهم رجب اللفافة . بالطريق يجد نفسه وحيداً جليس المقهى يداعبـــه القهوجي . يرمقه قائلاً :

واحد علي ميه بيضه والنبي يا مرسي ..

بأصابع مرسي تدور الملعـــقة ، تذهب بخلد رجب ليغوص داخل دوامـــة كوب الشاي . يأتـــيه صديقة مدحت بالاحضان مقبلاً :

– دائمـــاً تجلـــس علـــى المقهـــى حـــاملاً رأســـك بـــين كفـــيك ..

لدى لك عمـــل بأجـــر مجزى ..

– ايدى على كتفك .. دى العملية أشفور .

يقولها مدحت على عجل .. سيارة تحت الطلب . ما أن سمـــع رجـــب الأسم ، توجس خيفة قائلاً :

حانوتى .. حانوتى وان بعنى المهم الجنيه يادوحه ..

مرةً أخرى محاولاً إقناعه بالموافقة : هى سفرية واحـــدة تأخـــذ المرحـــوم وترجع فارغ . ينم ثغر رجب عن ابتسامةعريضة: ياالله هانشيل ميتين ..على العموم سأقـــدم السبت .

يقهقه مدحت مبادلاً اياه بالنكات .

يتسلم رجب وظيفته الجديدة . . بنشاط وهمة يحمل منشـــفته البرتقاليـــة اللون يمسح بها زجاج السيارة . قبل أن يجف عرقه يرمى بمؤخرته على ذلـــك الكرسى امام الجراج ، يرن جرس التليفون بالداخل .. صوت المدير يتســـلل إلى أذن رجب :

نعـــم ياأفندم . سارسل لك الاسطى رجب ، يتلقى الوصايا من قبـــل المدير .حاول أن تتفادى الأهالى في المواقف الصعبة يا رجب . لابـــد أن تكـــون صبوراً ودبلوماسياً . لا تـــدع أحـــداً يـــركب معك عند العوده .. يـــاالله اتوكـــل على الله يسرع رجب بسيارة متوجهاً لمكان الحاله ، على الفور يقوم الرجال المعاونون بإدخال الحاله للسيارة وغلق بابها .. تتبدل قدمي رجب بين مكان الفرامل ومكان البنزين لكنها سرعان ماتثبت، تجوب عيناه مستطيل المرأة الصغيرة ، بنظرات خوف خاطفة تجاه الصندوق الخلفى . يـــهم بقراءة الفاتحة والمعوذتين وآية الكرسى .. تتحرك انامل يمنـــاه علـــى مفتاح المذياع بحثا عن إذعة القرآن الكريم ، شيئاً فشيأ تدب فى قلبه طمأنينـــة

..يقترب من مقابر القرية ، بصعوبة يفرق الجموع . ما ان تدلف قدماه بـــاب السيارة ، تباغته بعض النسوة اللواتى وقفن مرتديات ألأوشحـــــــةالسوداء بصوت تـــنفر منه الآذان .. يلتصق ظهر رجب

بجسم السيارة مشمئزاً من الحظ العاثر ، يتذكر دائما أيام الشقاء تجـــوب كلمات مدير الشركة بمحيط أذنه الخارجى .. يتعـــقل ..تـــــتمتم شـــفتاه بكلمات تضرع . كعادقم يصدرالناس أشتاتا وفرادى بالقرية لموارة الجثـــة . تنهمر أيادى المساعدة ، تقوم بإخراج الصندوق من السيارة. بدهاء الســـائق يتسلل رجب داخل السيارة ، يقوم بارجاعها للخلف بـــبطء شـــديد دون الانذار بآلة التنبه .قبالة الطريق الزراعي يتوجه عائدا تغمره نشـــوة نجـــاح ممته الأولى، بقوة تدير أنامله مفتاح المذياع تلك المرة نحو صوت العـــرب ..عبر الأثـــــــير ينبعث الصوت .. لقـــــى فلسطينيان مصرعهم جـــراء القصف بالضفة كما قامت قوات العدو بهدم منزل كـــبير ، استشـــهد مـــن بداخله بينهم رضيعة . بتذمر شديد ! يسرع رجب بدوران المفتاح نحو إذاعة أخرى يخرج عليه صوت المطربة (بالسلامة ياحبيبى..بالسلامة تروح وترجـــع بالسلامة) يتراقص جسد رحب فوق كرسه الإسفنجى على مقربـــة يشـــير جندى للسيارة ،يقف رجب قبالة الجندى محدثا نفسه: (ده عسكرى غلبـــان اخده فى سكتى) . ينهض الآخر راكبا السيارة .شاكراً إيـــاه ، تبدوعليـــه ملامح التعب. يتصبب عرقاً تظهر بقع الملح البيضاء باماكن متفرقة على زيه العسكرى .. ينظر بجواره يجد الصندوق الفارغ .يلقى بجســـده داخلـــه ، يلتحف القماشة الرقيقة ، يغوص بالنوم . يظهر رجب علامـــات التعجـــب بابتسامـــــــة تتمتم شفتاه .. سبحان الله ناس بمزاجهـــا ونـــاس غصـــب عنها..على بعد كليو مترات .. آخران يلوحان له بالتوقف ..

"بـــينها ها تحلو يا رجب و البنديرة ها تعلى " .

صوت الفرامل يدفع الطيور الهادئة تضرب اجنحتها في الهـــواء تتطـــاير ذرات الغبار الساكنة محدثة دوامة من بقايا محصول القمح تحط فوق سفح الجدول الرقراق ..

الحاج وهدان يقبض بحبل جاموستة .. ها تسافروا في الحـــانوتى يـــأولاد .الأثنان في أغنية واحدة (كلنا مسافرين .كلنا مسافرين) تصدر القهقهـــات العالية يجوب صداها الفضاء الواسع .يتبادلان الراكبان الهمز واللمز بإشرات نحو الصندوق وسط إبتسامات مداعبة ينطلق لسان رجـــب (ماتخـــافوش دة مابيعضش) مرة أخرى تعود القهقهة .. عندها يسبح فى تيار العودة للمنزل ، يحمل لفافة اللحم المشوى .. تبادله الزوجة نظرات اللهفة والشوق.يهمـــس أحد الركاب .. إفتح لنا الشباك ياأسطـــى .. يتســـلل الهواء داخل السيارة نازعا الغطاء من فوق الصندوق ، يداعب وجه الجندى المستلقى .. يبـــدأ فى الاستفاقة، يرفع يداه .. يقيم ظهره الذى بلله العرق .. يصرخ أحد الركاب قافزا خارج السيارة ، يحاول أن يتبعه الآخر فيثب الجندى متشبثا بقدميـــه .. يقف رجب بسيارته المسرعة وسط الطريق .. محاولا إفاقة الرجل المغشـــى عليه دون جدوى منه فلقد ذهبت روحه خوفا بعد المعاينة أمام الضابط يبكى قائلا : قضاء الله ياباشا ..

بـــينما يبتسم الضابط .

زجرا .. يقبل مدير الشركة نازعا مفتاح السيارة من بين أنامـــل رجـــب التى كان قابضا عليها ، محدثا اياه بغضب :

خربت بيتنا ياراجل . أبعتـــك بواحـــــد ترجعلـــى باتنيـــن.

يغمض رجب عيناه بكلتا يديـــه أخذاً فى الشهيق ..

يربت مـــرسى على كتفيـــــه .. تأخذه رجفة إستفاقه .

يثنى عليه ..

رحت فين ياأسطى رجب الشاى برد يارجـــــل .

بكاء

يفتر ثغرالشمس عن بكاء الرمال الفيروزية .. صوب الجانب الشرقى تحوم الرياح من حولها محدثة دوائر دوامية .. تداعبها، تحملها ،تجوب بها الفضاء ،تضوى عبر شعاع الشمس، تتراقص جداول حزينة ، تقبل خد المرفأ.. تفور المياة بركانا ليصل المد أقصاه ..

تثلج صدورتلاميذ مدرسة الشهداء الإبتدائية..

تنحنى الرمال ترحابا للأقدام .. الصمت حال المعلم عبد العاطى يعدو الأطفال حيث لاحدود للهو .. تدفعهم ذكرى الأحاديث، دروس التاريخ ، يمتطون ظهور الرواب ، يختبئون خلف التلال يتخيلون ..يقذفون.. ينطرحون.. عيون ترنو الافق الرحيب ،أخرى ترقب البوارج مختلفة الصوارى يغوص قرص الشمس المغربى بمياة المرفأ – تدمى – يطلق المعلم عبد العاطى صافرة تدوى عبر الآذان .. سرعان مايعود التلاميذ مترجلين تجاه السيارة مرددين صيحة تعلو المآذن ..

خلال زجاج السيارة الخلفى تلوح أنامل الكفوف الصغيرة للرمال التى أمست تبكي عبدالعاطى ورفاقه .

مخاض

. تصرخ براعم الشجرة تضرعـــاً ، تتساقط أوراقها..
عارية صارت ..
تتمايل الفروع .. كالنعام أسفل التراب تـــندس ..
تعود ..
يتـــقصفها الريح غصن يلي الأخر ..
خلف سحب قاتمة تختـــفي النجوم .. عيون يائسة ترنو الشهب .. في ليل حالك السواد تســـير الأقدام عبر ضوء الدموع فوق أغصان الشوك بـــدون عصا ..
تعانق الأنامل الكفوف .. تـــقبض على قواها عازمة المضـــي يجـــر مـــن أسفلها الطريق ..
في وجوم الأفواه الفارهة .. تكبو .. تقف .. تهوى..
دخان أسود يحجب الرؤية .. تتنفس الشجرة الصعداء .

هــــي

قبيل عودة سيدها ..

داخل المنزل الكبير ، دون توقف تـنهى عملــها غـــدت أو راحــت إستوقــفــتها في ابتسامة عابرة ..

تمر " فاتن " تجر ذيول الالتــفاتة ـــــ تلك المــرة أذعنــت لحــديث صديقتها التى باغتــتها قائلةً:

لما لا تــنزعين غطاء رأسك ؟

برقة واستسلام قامت بفك قيود الرأس ، يتدلى الليل حالــك الســواد داخل خصلات الشعر يكسو ذلك القد ليغطى اردافها.

إستديـــــري ..

برشاقة الغزلان فعلتها فاتن ، يختنق خصرها بين يديها.

دنت منها مــوسوســـــة ..

عند عودته ..

تـــخرج الكبرى من جحر فيها .. تجوب محيط شفتيها تقطر الزعـــاف .. كاد أن يتجرع .

فى استفاقة يـــبصق بوجهها معنفاً.

تصدر صديقتها قهقهات عالية ،

ترمقها ..

أليس هذا ما تصبين إليه !!

تــقدحها فاتن بنظره انتــقامية .. تقذفها .. تختفي الصـــديقة للأبــد .. بأنامل يسراها، تجفف فاتن دموع الندم .. بــينما كانت يمناها تجوب الأرض بالمكنسة تــلملم شظايا قد تبعثرت .

المسحراتى

لم ينس ماهر دموع والدته أثناء الوداع ؛ كعادتها وكأنها ترثيه بكل مـرة يخرج فيها ؛كما استهواه طبق الفول ذى المذاق الخاص

فى تلك الأيام الرمضانية من بين أناملها التى دوماً تقطر الشهد.

تاق النافذة التى تبكيه تضرعاً تنشد عودته .

تستجيب الاقدار لدعاء الام..

يعود ماهر فى إجازة قصيرة .. من داخل مخيم عسكر بمدينة نابلس حيث يعمل مراسلاً لاحدىالصحف الكبرىبالمدينة ..

شاحب الوجه صار، يحتضن بيمناه آلة التصوير والأخرى تقبض أوراقه .. يقرع بمطرقة نعاله سندان ألأرض ... تأبى الأخرى حتى أن تتألم ... صـار يفرق تيار هواء الشتاء المثقل بالهموم يثور بداخله بركان الغضب .. يتحـدى به النسمات الباردة ورخات المطر التى بدت تتساقط تعانق جروح الأرض .

قبيل توجهة للمنزل.. إعتاد المرور على مقهى الانتفاضة حيث الاصدقاء.. كوب الشاى الساخن . وسط الطريق.. يعبران إليه صديقاه فتحى ، كمـال بالاعناق .

-حمدالله على السلامة .

- لية عمرأشوفكم تانى .

فتحي ملقياً بفضوله عليه : إيه أخبار اخوانا هناك؟ يلقى ماهر باحاديثه فوق تلك المنضدة الأخرى . فجأة...يصمت...تكاد تغلب عينيه الدموع .

يحدثه فتحي : إشرب الشاى ياماهر.يثب كمال زجراً ومقاطعاً هيا بنا نذهب يا ماهر يقبض ماهر برسغ يديه مهدئا : "أقعد...أقعد يا كمال أنا أصلا محتاج أقعد معاكم " يجلس فتحي تملأ قسمات وجه غرابة : خير يا ماهر.

كرة ترتطم بجدار المقهى محدثة بعض الضجيج . القهوجى عاقداً الحاجبين : " لعبوا بعيد عن هنا...قال دورة رمضانيه قال"بركن قصي داخل المقهى يأتي الصوت:

"الواد فوزى إبنى بيلعب معاهم..قالى يابا لعيب الكوره المارده بياخد فلوسات أحسن من خريج الجامعة" .

بأخذ شهيقاً الرجل الذى أمامه ترتفع معه رئتاه أعلى كتفيه ثم يصدرزفرة كعادم السيارة بالطريق رافعاً حاجبيه :

"شباب يا ابو على نصفهم بيلعب كوره والنصف الثانى بيلعب طاوله والأثنين فى الشارع شد شد ... شد ياراجل ..ولع ..

على المنضدة المقابلة ينتفض محمودبك , يوبخه سيدأفندى : "هاهرب كالعاده مش هاتكمل العشرة"

- أبدا يا سى الحساب خالص ... رايح اجيب سحورمن السوبر ماركت عنده فول أمريكانى أنما إيه .. كده

مشيرا بالابهام قابضاً بيمناه . تسخر الابتسامة على وجه ماهر.. يتذكر قدرة أم محمد .الدماسة بالمنزل... ببراد الشاي"الصاج" حينما يفوريحدث رنين كالجرس تبدا معه

الالتفافة حول حكايات الأم بدء من الركض ابان الهجرة حتى الغربة داخل الوطن...يربت كمال على كتفيه...

علام الشرود يا ماهر ؟ ماالذى تحتوية أوراقك .تلك المرة؟

جهاد...ويكأن اطلق كمال العنان للسانة،ليخرج ماهر عـــن شـــرودة وصمتة اللذان لازماه لفترة....

"جهاد" ذوالرابعة والعشرين من العمر، عرفتة فتى طيب دائم الإبتســـامة ،رغم الحزن الكامن دخلة...عهد على نفسة القيام بدور المسحراتى فى ليـــالى رمضان داخل المخيم لكى يوقظ اليقظة...فى عيون الأهـــل والاصـــدقاء ... اللذين يفترشون الحجارة ويلتحفون برد الشتاء القارس، يصـــطلون نـــيران الاطارات.... يبدو صوت ماهر جليا..يجذب مسامع من بالمقهى يتســـارعون من حوله فى التفافة، يستطرد القول حاملا رأسه بكفه الأيســـر ثم يتركهـــا فى غضب وثورة ....ترتعد خوفا منه. تسكن سطح المنضدة يظهر ثنية اللحم بين حاجبيه...تختنق دمعتة داخل رحم الحدقة..

متفوها : وعلى الجانب الاخر يأجوج ومأجوج يصطلون الدفأ من نـــيران فروع أغصان الزيتون.. رغم الجرح الدفين، يخرج عليهم جهـــاد بكلماتـــه العذبة الرقيقة يشد من أذرهم..يدعوهم للإقبال على السحور ،فلم يكن من المهم الطعام قدر التجمع والشعور بالآلفة والوحدة حول المائدة ...كان جهاد كقائد حينما يتبسم على جنوده . ولكن بروح المداعبة تحت وطـــأة القهـــر والإحتلال قبيل مجيئى عقب آذان المغرب كانـــت الوجبـــة مـــن الصـــمت والشراب من عصير العيون...لقد استشهد جهاد....يعم السكون قليلا دخل المقهى...ينتصب من ركنه القصى : "أنا ماشى لحسن بعد كـــدة مـــش هالاقى حد يفتح لى."

– أنا بقه قاعد مستنى لما يجيبوا لى المفتاح.

–ينهض الرجل .يستدير ..يمشى مستقبلا ماهر ورفاقة "أنا سامع كل حاجه .. "ماتزعلش ياسيدنا الافندى تدفع كـــام وأعملـــك أعلـــى مظاهره فى البلد أنا والشباب الحلو اللى بره "

ينهض ماهر ورفاقه، مستقبلين الشارع كل يحمل فى طياتـــه ذكريـــات .. آمال .. تتصافح الأيدى فى صمت ينم عن حديث يدوى كالطلقات قبيـــل أن

يظهر الخيط الابيض من السماء... يدنو ماهر من باب منزلــه ، تســرع الام بفتح زراعيها،لبلقى همومه داخل احضانها الدافــئة..

-"تتملكه قشريرة من الحنان ينتفض معها جسده النحيل مــع ابتســامة يرضي بها عين أمه الوجلة لتفرس ملامح وجهه يداعبها قائلا :

"بصراحه إللى وحشنـــى يا اجه طبق الفول ابوسلطة ".

الملكة وأنا

بعد الشروق ..
يقتصر حلمى على مشاهدة جدار القصر ..
بطريق الملكة . تتسع حدقة عيني على بهائها ..
تطل عبرالشرفة ببحر عيون جدالة ، تخطف بصرى نحو غريق يتجهمنى ، يطون اسهابي .
تقذفنى بابتسامة .. أتوة في غياهب جب الهوى ، أدنو ملتهب المشاعر..
تحدثنى مواربة باب الشوق:
أتوق لحديثك العذب ..
أتفوه متلعثماً : سيدتى أنت الملكة ونحن الرعية ..
بثغر يسال منة الشهد :
سيدتى . لقد بلغ القصد منى خيرا فأنت مليكتى من واجبى راحتك.
ضاحكة : دفعتنى الوحدة للحديث معك فلاتظن بى سوءً .
مقاطعا : وهل أجرؤ سيدتى؟
فأنا أحترمك ، كما أننى أحترم السلطان ..
يعلو صوت النفير.. يعود السلطان بموكبه ..أندس أسفل الجدار تتـــوارى الملكة خلف ستائر قائمة تاركة شعاع طيف
يداعب عينى..
يقهقه الراعى عويل ..
ترتعد الملكة، .. ترنو دفئاً ..
تسكن النافذة تجوب عينيها فضاء طلق فية العنان للطير يضرب بجناحيه كيف يشاء يغازل عينى الملكة ..

يخفق قلبها طربا .. تستهويها الفكرة ،تحل قيود وشاحها الأبيض..

يتملص أناملها .. يحمله الهواء .. ترمق ذاقا .. كأنه بساط تعتليه .. يحط الوشاح فوق الجدار ..

بخوف شديد تمتد يدى تقبضه .. تلوح ..

ينم ثغر المليكة عن ابتسامة كاد يخفيها الخنصر الذى يداعب تفليجة أسنانها البراقة ..

ظلت تلوح بدورها ..

ضممت الوشاح لصدرى مغمض جفون العين ..

أحسست بانى قد ملكت مفاتح القصر ..

يعلو صوت النفير- يوقظنى- خلف جدائـــلها الذهبية تتوارى الملكة شيئاً فشيئاً ..

خلف الجدار بنيت لى بيتـــــــاً .

الجسر

كان .. حد علمي بالجسور مقتصراً علـــى أنهـــا أقيمـــت لتـــربط بـــين صوبـــين.. تجمع أواصر الآلفة بين سأكنى أطرافها .. أن تكون قوية ..تتحمل ماريها رجالاً وركباناً.. يطعنون بنعالهم فيها العشاق كيف يشاءوا حتى أتـــى ذلك اليـــوم .. الذى دنـــت فيه الشمس كثـــيراً مـــن الأرض تســـلط نحوى اشعتـــها . كادت تحرقنى..جعلتنى كومة من الضياء لعالم مظلم قبـــيح من حولى .. سرت أتجاهل عيون العالم التىترقب نخوة شرقيـــتى ..

كيف أتركها وحيدة تعبر الجسر ..؟

تجوب آذني لهفة استغاثـــتها آلتي لم تحرك لكرامتي ســـاكناً.. وأنفاســـها المتـــقطعة التى تطعن ظهرى بنصل الشرف وكلماتها الخافتة القصـــيرة الـــتى توحى بآنات الوهن وحرق أضابير عذريتها حاولت أن ألملم جراحـــى الـــتى تبعثرت على ذلك الجسر وأن ألقى بحلمى الزائف الذى تخطى حدود الشرق فى ذلك النهر..

تراءت لي صورتها ..التحفت عيني الجفن .. تمنيت أن تغرقنى الامواج .. بخطى تسوقها شهوة الأنـــتقام .. أخذت أركل ذكرياتي من فوق الجســـر تبتلعها دوامات بترولية من الهواء ..بقيت ذكرى وحيدة.. كلمـــا ركلتـــها عادت تمثل أمامى .. نسور بمخالب ضارية .. تعتو بجسدها تحت ظلال نخيل تدمع التمور.. بينما ينبض قلبي بحلم وحداوى كاذب ..

ألم تر الحزن الكامن في نهري عينيها..؟

مللت نفاقه.. قبضت عليه بيدى ..زفر بآهة وجع تصدع معها الجســـر . تهاوى فيما بيننا.. رمقتها بشتات .

* سجلت لإذاعة وسط الدلتـــا فى مارس ٢٠٠٣

ديـــك و ديـــك

إلي متى ..؟

سيظل يؤخرني عن أداء الفريضة ..

ديك أبي ذو العرف الأحمر الكبير الذي لا يؤذن أبدا..

حتى صرت أسمع بأذني من يلعن ديك أبي ، وما زلت أدافع عنه .

وكيف لا أدافع عنه .. ؟

وهو ديك بلدى..

فلربما..!!

فجأة .. وعلى الرغم من كثرة ديوك الحظيرة،لكنه قد تفرد بالآذان ..

ذلك الديك الصغير ديك جارى" أبو حسين " صاحب أرض النخلة..

الأمر الذى جعل النسور يتردد فيما بينهم الســـؤال ..

كيف يتجرأ ذلك الديك بالصياح فى ظل وجودنا..؟

أحقاً إن الحدآن قد تركوه ! !

فأرسلوا له ديكهم . فإذ بغيامة غربيبة تحجب معها شمس الربيع .

ترمقها طيور الحظيرة عن كثب ، ثم أومأت بمناقيرها لترى وأمام

أعينها .. نجوماً تتساقط . زهور الربيع تزبل ، جريد نخل يتهاوى .

دموع ثكلى ، فزع ، رعب يملأ أرجاء المكان ..

يحط ديك النسور الجارح فوق أعناق النخلة الشماء، ينهش هديها بمخالبه

، تـــبكى الأخيرة فسائل ، تدمع تمور ..

لاتجد من يلتقطها من طيور الحظيرة ، يسخر الدب منهُ قائلاً :

أنت لا تأكل التمور فلماذا أتيت ومن حولك أكلة الجيفة ..؟

يقاطعه بكبرياء وزهو : سأظل ماكثاً فوقها .. أرمق ظبياً شـــارداً.. أو .. أرنبا خارج جحره .. عساه ...

ثم عض على مخالبه قائلاً :

كم يزعجني آذان ذلك الديك بريشة العتيق ، وصياحه الـــذى يخـتـــرق الفضاء كما لو كان زئير أسد ..

وحظيرته البالية التى لا يريد أن يصلح من حالها ..

فكم أنا تواق لإلتهامه ..

وجعل يقفز ديك جارى من فوق الطيور التى تكالبت عليه من أجـــل أن تثنيه عن فكرة الخروج ..

حدجهم بنظرة رافعاً معها منقاره قائلاً :

والله ما خلقت إلا للآذان ..

ثم خرج وقد إشرأب بعنقه ومط عرفه فى شموخ وعـــزه وصـــاح مؤذنـــاً فإنقض عليه النسر يلتقطه على عجل من أمره ، بيد أن الديك قـــد جرحــه بمنقاره الصغيرفطرح من بين مخالبه مهيض الجناح ، وحلق ديك النسور ليحط فوق جدار عال يلعق جراحه.. يتوثب .. عندها أيقنت الطيور ان ظلت على حالها محاصرة سوف تـــتضور جوعاً .. ثم تـــموت ..

وإن خرج إحداها هلك ، وظلت كل منها تلهث .. منكمشـــه داخـــل ريشها غير قادرة حتى أن تتجمع بمكان واحد داخل الحظيرة.. يتمتم أحـــد فراخها :

ماذا لو خرجنا خلف الديك وصحنا ة بأذان واحد..

ترى لوعلم ديك أبى الذى لأيؤذن أبدا ماحدث لديك جارى ..

هل....؟ .

مـــؤشــــــر ..

مـــع تراتيل المئذنة ، يتمخض الليل عن فجر جديد.. تستقبله الأم بأكف الضراعة ، تتكأ على عصاها بكلتا يديها ، تدق بها أعناق الشياطين ، وتوقظ معهـــــا الملائكة ..

بوسط الردهة .. تؤدى فريضتها . تبتهـــل :

" ربنا ينصركم ياولادى..

تصمت لبرهة ثم تنادى :

يا محمد ..

يا محمود ..

" اصحوا ياولاد الدنيـــــا سبقتكم "..

كانت دائمـــاً لاتـــنسى عهد الزوج قبل رحيله ، حيث كـــان يعمـــل بالسكة الحديد أبان كانت الهيئة تحت وطأة الاحتلال ، والذي كـــان يـــوقظ الفجـــر من رقدته خشية أن يتأخرا على عملهمـــا ..

تعود للصمت مرة أخرى ، بيد أن أناملهـــا تحاكى مفتاح المذياع ..

دون جدوى مما تـــنشده . فلقد إعتادت أن تـــقـــلق الصباح بصـــخب المذياع ، وحين يأست منه .. نحته جانباً.

وصاحت متـــنهدة :

إصحوا ياولاد أنا تعبت ..

وجعلت تفتـــش بيديها عن أوانيها ، حيث كانت تدسهم أســـفل تلـــك الأريكة المسند عليها ظهرها ، وأشعلت موقدها الذى كان لايفارق جلستها..

يخرج عليها محمد، وأخذ يقتـلع جذور النوم من عينيه بـأطراف أناملـه قائلاً :

صباح الخير ياأمي ..

أطلت بإبتسامة تلونت بلون الأشراق قائلة :

يسعد صباحك يابني ..

وأستطردت قائلـةً : "أخوك إمتى هايصحى ".

قاطعهـا : دعيه ياأمـى إنه يعلم مصير ذاته . لقد اصبحنا رجـالاً

ثم هـم للوضوء ، وما آن أقبل عليها إلا وأمسكت بإحدى أذنيه قائلةً : مهما كبرتم يا ولد ......

أخشى عليكم الذئاب .. يرمقها محمد مبتسمـاً..

تباغته القول : " كل عصر وله ديابه يابني " ...

يطرق محمد الرأس . عندها تصيح بوجهه زجرة قبل أن يسـتفهم مـن صياحها :

" تعالى شوفللي الراديو معدش بيجيب إلا أجنبي"

تعالت ضحكاته حتى استيقظ أخاه قائلاً :

خير إنشاء الله أضحكونا معكم .

لقد أتى خير الألكترونيات . قالها محمد والبسمه لاتفارق وجهه أظـبط ذلك المذياع لأمـك ..

تريد أن تسمع النشـرة ..

أسمعها إذاعة الشرق الأوسط الكبير .!

رمقه محمود بنظرة متبجحة وتماديا سوياً في الضحك ..

تساءلت دهشـة :

" يعنـى أيه الشرق الأوسط الكبير ياأبنى ..؟"

محمد زاجراً : ياأمـى يريدون أخذ الشـرق الأوسط.!

قاطبة مابين حاجبيها تتعجب إحدى راحتيها ، ودقت بالأخرى صـدرها قائلـة :" يالهوى يابني هايخدوا إذاعة الشرق الأوسط كمـان "

ثم أطرقت الرأس في حزن تتمتم بصوت مسموع :

" زى بعضـــه ياولاد ماهو معدش فيه صوت عـــرب " ..

بين بسمات السخرية وصمت اليأس صارا الولدان يتراشقان نظرات الأستياء فيما بينهما . بينما تجوب أنامل محمود بمفتاح المذياع يمنة ويسرة ليخرج صوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد بالآية الكـــريمة : بسم الله الرحمن الرحيم .

وكنتم خير أمة أخرجت للناس .

عندئذ تمسك الأم بمعصم ولدها قائلةً :

" إضبط على كده يابنى الله يجبر بخاطرك ، الحمد لله اللى فضل لنا حاجه " ..

وما لبثت أن جذبت طرف شالها الأبيض ووضعته براحتها على إحـــدى عينيها التى إلتهمها المرض ، وأخذت تتفرس عقارب الســـاعة المعلقة أمامهـــا بحائط الردهـــه ثم صاحت قائلة :

" إتاخرتم كتير ياولاد " ..

إبتسم مقبلين يدها قائلين :

" النهارده الجمعة ياحاجة " .

شجـــرة الصبــــار

هت .. هت .. هت .. هتورثي يا صابحه !!

ون .. ون .. ون .. والنبي هتورثي يا صابحه !!

هكذا أخذ يرددها " مبروك " مجذوب القرية ، وعدا فرحا بعد أن أطلت عليه " صابحه " بوجه أخَّر طلعة البدر فى السماء . وأعطته ملء كفيها مـــن حب الترمس الذى ينشده يومياً ...

ثم غمغمت وجهها بإشراقة باسمة وأغلقت نافذة المنزل قائلة :

الله يجازيك يا واد يا هتهت ..

منين يا حسره ... !!

أصمت معها شفتيها وحركتهما يمنة ويسرة ، مشـــيرة بأصـــبعى يـــديها السبابة كبندول الساعة ثم ما لبثت مرة أخرى صائحة ومقتضبة :

ربنا يريحنى منك يا سعيد ..

هكذا يصير حالك عندما يرسل أخاك مبلغا من النقود ..

وتـــترك لى عربة الترمس ..

وسعت تنهى ما بين يديها تتصبب عرقا كالماكينة الدائرة التى يقطر منـــها الزيت ، ليس لها ونيس سوى أنفاس رضيعها .. تلتحف القرية بليل بهـــيم ، تسكن معه الكائنات مساكنها ..

سوى بعض نجيمات تائهات قد بزغن بصدر الأفق ، وبصيص من ضـــوء خافت ينبعث من تلك المقهى التى صاح صاحبها

عاقداً ما بين حاجبيه :

يالله يا اخوانه هانشطب ... !!

ليخرج سعيد مترنحا من ركنه القصى مرتديا عباءة الظل ، يتأبط ذراع " عزوز أفندى " الذى بدا متماسكا عنه بعض الشئ هامساً بأذنـــه " إيـــه فى حاجه .. "

– فى ظروف فى البلد يا سيدى ..

كلب بوليسى هرب من النقطه والدنيا مقلوبه عليـــه يضـــحك ســـعيد الكلب هرب .. يقهقه .. هرب الكلب يصمت مستطردا :

زمانه قاعد جوه فى القهوة حاطط رجل على رجل ومطلع لســـانه مـــرة أخرى .. تجوب ضحكاهما الأفق . تـــكسر حاجز السكون المحدق بـــالطريق الذى تعاورت على رسمه الرياح . وصارا يتمايلان معها ..

إستوقفه فجأة (عزوزافندى) قائلا :

ناك شخص قادم ...!! لعله هو ..

ثم اخذ يتمتم لااعلم كيف يعرفنا هذا الرجل ..... ؟

أطرق سعيد رأسه قائلا :

عرفته ..

(رحنا فى داهيه)

ويلتزمان الصمت كل يده على فيه ..

على عجل من امره يأتى الشيخ حامد تسوقه عصاته قاصدا باب المسجد، يدنو منهما : آه ... هوانتم !!

لعنة الله عليكم ...

باعرفكم من الرائحة ثم يمضى كل الى سبيله.

يعزف باب المنزل صوت ناى حزين تدلف معه قدما سعيد ، يترنح منكبا على وجهه ....

تستصرخه صابحه : ربنا ياخدك ويريحنى ..

حدجها سعيد بنظرة تتمايل معه رأسه :

ما تستعجليش ......

مشيرة بسبابتها وعاقدة مابين حاجبيها :

هتفضل طول عمرك كده .....

زى الترمس النـــى ..

ثم يتسلل الصمت يمور رويدا بأرجاء المنزل , تهدأ معه كـــل الاصـــوات سوى نقيق ذلك الضفدع الصاخب والذى ظل يعتو فى ذلك المكـــان الـــذى كثرت ردغته اسفل زير المياه..

يصيح الديك .. تفزع الشمس من مرقدها , تبسط اشعتها آيادى تـــنزع ما تبقى من ثوب العتمة , يقرع الباب بقوة تصيح معها طيور المنزل ، تـــوقظ صابحه , تهم بفتحه , تفاجأ..

شرطى لدى الباب ..

ـــــ من سيأتى لاستلام جثة سعيد..؟

صابحه .. لاطمة ثديها براحة يديها , تخرج معها النيران الخامدة تحت رماد الفرن يصفعها الهواء , تـــتأجج ..

بنبرة حزن ودمعة اختنق خصرها بالحدقة .

ينطلق سعيد قائلا : انا ..

بيد انه سرعان ما يصمت ، يدفع بخلفية رأسه الى الحـــائط , يعـــود .. يتذكر ..

يوارى بخنصره فرار الدمعة ثم يهمس للشرطى ســـنأتى جميعـــا لاســـتلام الجثة... ا

أهل القرية .. فاغروالأفواه , يخرجون تجاه منزل سعيد تحمـــل رؤســـهم علامتى التعجب والاستفهام يرتدون اقنعة من الوجوم .

مغلقة بالوان من الصمت ..

تعلوا الهمهمات الهامات , سرعان ما تبدوا الوشاية جلية .

يهمس احد رجال القرية بأذن (عزوز أفندى) قائلا..

صديقك سعيد الوريث الوحيد دونما اخوته لأمه ..

يخرج عزوز افندى عن الدهشة التى المت بتلابيب فكرة متناسيا الشـــدة التى احدقت بصديقه وانغمس معهم فى الحديث قائلا :

وتلك السيدة الأخرى التى مازالت معلقة برقبته.

ـــ البنت (تــفيـــده) ..

اطلقلها الشيخ حامد وقد لوى بشدقه مداعبا خلفيـــة عنقـــه بـــاطراف اناملة...

وقـــــد حزق الرجال به بعد ان قصى الشـــيخ جالســـا متوكئـــاعلى عصاته , وقد استمال الرأس يتناقـــل الحديث معهم باذنـــه لفتـــرة دون ان يعيروه إنتباها واستطرد قائلاً :

لم تنجب له الولد....

ثم من ادراكم ...ألا يمكن أن يكون قد تزوج مره ثالثة!!

إنه غائب منذ سنين ...

شرع الله , هذاحلال ..

ثم تمتم بالحديث ..

لعنةالله عليكم ... أعرفكم من رائحتكم .

بيد أن سعيد يجلس معتصرا رأسه بين كفيه ,

تنهمر دموعه من بينهما , تروى شجرة الصبار التى غرسها بيده على باب المنزل عندما سافر اخاه سعـــد منتحلا اسمـــه هربـــا مـــن تاديـــة الخدمـــة العسكرية... ترن بأذنة مقولة زوجته صابحه ، بينما يعدو مـــبروك مجـــذوب القرية ......

صا . . صا .. صابحه هي اللي هتورث ..

ون .. ون .. ون النبى هاتورثى ياصابحه .

الجلبـــــاب ..

تـــتسلل خيوط الشمس من بين أنامل أحمد .. لم يقبض من أحلامه معهـــا سوى كابوس قد صارشبحـــاً يطارده.. فجأة يخـــرج عن صمته الذى لازمه لفترة قائلاً:

بعدما تلقيتُ دعوة لزيارة صديقى بالخارج ، ذهبت لوداع جدى المســـن بمنزله الكائن بإحدى ضواحى الريف.

ـــــ مش نفسك فى حاجه ياجدى ؟

ـــــ نفسى فى جلبيـــه بيضاء أصلى ..

إبتسمت آخذاً على عاتقى تحقيق الحلم لجدى ..

تطـــأ قـــدمـــاى أرض المطـــــار التى بللتهـــــا ميـــاه الأمطـــــــــار جعلتها كالمرآه ، تتساقط عليها أشعـــة المصابيح الفسفـــــورية . صـــــرت ومن حولى عدة أخيلة ، أصبحت أسير وكأننى بموكب شرفى ..

اعتليت سلم الطائرة ، أستقبلنى تاج للحريه فوق رأسها يغطى ليل كاحل السواد من خصلات الشعر ، ووجه تكاد تلمح فيه الانشطار.. نصف تـــرى فيه عبق الشرق يجذبك إليه بحنينه والآخر غربى يكاد يكويك بلظاه من نـــار حمرة الكأس ..

أطلت بابتسامة مرحبة .. دفعتنى لتحيتها بحديث العيون.

تناولنى الكرسى معانقاً ..

ثم جلست أمامى فى قرفصاء لتمتد أناملها نحو خصرى ..

رسمت مخيلتى بداية النهاية ، بيد أنها سرعان ما أمسكت بحزام الأمان أو ثـــقـــتنى به وسط الوجوم الذى انتابنى لبرهة وابتسمت قائلة : " تقدر تاخذ راحتك" ..

تهادت نحوى صديقتها بوجبة من " الكنتاكى " ومشروب الكحول يسيل لعابها بالابتسامة قائلة :

" وجبتك يا مستر"

ثم عادت تتراقص مع أنوثتها العيون ..

عدت فى استرخاء إلى جدى .. أخيراً ..!! سأجد ما أرويه إليه ، فلطالما حكى لى جدى عن رحلاته ..

لكننى إلىالأن لم أعلم سبب تمسكه بالجلباب!

يوقظنى صوت قائدالطائرة مشيراً بالهبوط..

ثم أجد نفسى أنزلق على جناح طائر بيسر وتمهل تجوب معه عيناى مكان الاستقبال بحثاً عن صديقى ، بيد أنها تسكن أمام اللوحةالضوئية المدون عليها نبأ بكم فى ولاية " زفتستونسا " يجدنى صديقى الذى لم أعرفه ببادئ الأمر، يعانقنى مرحباً، وبالطريق تستدير عينى حول رأسى كدورة الأرض ثم أعـود إليه لقد تغيرت هيئته، اتخذ من الغرب قبلة ، ارتدى الكاوبوى .. بعد ذلـك السروال الذى اعتاد عليه فى الحقل، فتح باب سيارته ثم جلس بكبرياء أمـام عجلة القيادة ..

تذكرت عندما كان يمتطى ظهر الحمار "خصروان" يدفعها بالعصا ويـأبى الحمار المسير..

حدثنى منتشياً لسه بتزرعوا القطن ؟

أغلقت فمى مكتفياً بنظرة زجر..

رفع حاجبيه بزهو: " تعالى ناخذ تيك أوى "

رغم غضب معدتى التى لا تعرف مذاقاً سوى لـ .... قـرص الرحمـة والدقة أم سمسم والحلو زر باذنجان ، لا ثيما كوب الحليب الرائب

وأستلقى بعدها على الأرض ، ألتحف ظل الشجرة ، التى كانت تتراقص على خرير الجدول مع عزف شخير أنفى .

دون أن أنبس بكلمة واحدة .. تناولت "الكيزر المحشوبالبرجر" دفـع بى صديقى إلى السوق فى جولة حرة ، وأمام جنـاح يسـمى جنـاح ولايـة "

قارستونيا" يتسع قاع عينى فى ذهول حين أقبلن مرحبات ، فتيـــات يتفرســـن بنهم ملامحى التى بدت غريبة عليهن وعلى اليمنين منهن .. رجال مصــــطفون أمام تاجر يبتاع الحبوب وحين سألته عن اسم تلك الحبوب ألْقَــضَ رأســه مجيباً:

حبوب .. حبوب يا أخى ..

ترجلت تتمتم شفتاى .. ليتها حبوب الشرف.. ليتها حبوب الكرامـــة ثم جعلت عينى تحملق فى هؤلاء الذى إنكبوا يقايضون الزيت بالخمر، والرمـــال بالمال ، وهؤلاء الذين يشترون عقول غير عقولهم ، وهؤلاء .. وهؤلاء ..

ألقى بأذنى قنبلة دوى صداها أركانى حين قال لى هـــذا جنـــاح ولايـــة " جازونيــــــا " ..

تمضى بى خطواتى ، جعلت أهذى . زفتستونيا جازونيا قارســـتونيا .. " ياخـــى قطيعونيا"..

ثقل جسدى فوق مفاصلى أصابنى الدوار ، ارتطم رأسى بالجدار صرت أتقيأ ..كنتاكى برجر .. كنتاكى برجر .. رائحة الكحول تشمئز منها ذاتى ..

مربتاً على كتفى : معلش الجو هنا متغير.. حمدت الله أنه قالها بلســـانه ثم استطرد قائلاً: نفسك تشترى حاجة ..

راودتنى صورة جدى .. كأنه أيقظنى ، دفعها لسانى إليـــه دون تـــردد .. جلباب أبيض أصلى ..

اشتريته بثمن بخس وسط ضحكاته العالية ..

قررت العودة .. وبساحة المطار ، تعلن المضيفة الأرضية عـــن وصـــول طائرتى المغادرة ..

على بعد أمتار من سلمها ، إغرورقت عيناى بالدموع ..

تملكتنى قشعريرة ..

ذبت فى الوجوم بعدما قرأت المدون عليها

" مصرونيا للطيران " ..

بيد أن يدى مازلت قابضة على الجلباب.

مقعد خلفى

كأنها كانت بانتظارى ....

تنطلق تلك السيارة بعد أن لزت بالمكان الحالى ..

بجو ذلك الشاب وصديقته الجميلة ..

الذى اعرض جانباً .. تظهر قسمات وجهه الأستياء من وجودى أهديته قصتى .. تحسسها بيمناه ..أخذت انامله تفر أوراقها على عجل .. يزيغ معها بصرى ، بينما عيناه ظلت تتفرس الحسناء ، يمقتنى المقعد .. ينتفض بى ، كاد أن يلفظنى .

يتلصص الفتى .. يختلس النظرات ، ثم يعود أدراجه نحوها . يهمس بأذنيها .. يطوقها بنظراته ، تتسلل أنامله بين خصلات شعرها .. مسترخية إلى متى سنظل نتوارى من عيون السائق التى تتدلى .. تزيغ حائرة من مستطيل المرأة الصغيرة مقدمة السيارة ..

عندها تذكرت قصيدة الريح الذى أخذ يداعب الورقة ..يحوم حولها تتراقص الأخرى .. تسقط من فرع الشجرة ، يقلبها كيف يشاء .. تحرقها الشمس ،، تركلها الأقدام تتناثر ، تتلاشى .. مرة أخرى . يهز أركانى المقعد ، ترتطم رأسى بسقف السيارة يدنو الشاب هامساً كدنا نصل!!

بنهم يأكل أعضائها بسهام عينيه .. يحتضنها بمخالب الشوق تميل الأخرى برأسها فوق زنده . تطبق جفون عينيها ..

قمل قصتى جانباً .

رنيــن

تمام السادسة مساءً ..

يعود كعادته ..

تــنــتــفض من مكانها .. بشغف ولهفة تعدو تجاه الباب ..

فجأة .. تــتوقــف تلملم دقات قلبها ، التى بعثرها رنين الجرس ..

ولكن !! لما تلك المرة .. ؟ كانت تحدث نفسها .. فلطالما دق الجرس ..
ولطالما دقت معه نبضات قلبى .نعم .. جلس هنا .. أغمض جفن عينيــه ..
طلب منى أن أحلم معه ..

أطبقت جفنى .. حلمت ..

لكن ....!. !

جاءت الأحلام مغايرة ..

تسهب فى تنهيدة .. تحاول معها إخماد ذلك البركان المندفع بقــوة مــن القلب ..

يكاد يفتك بثباتها ..

بخطى شبه واهنة .. تقدمت نحو الباب ، بعد أن أبرمت إتفاقــاً مــع جوارحهــا ..تجمع قواها فى قبضتها .. تلتقط نظرة أخيرة تجاه مقعــده ..
كالقيثارة .. صوت الباب قد كان .. لقد فعلها السبابة ، دون وعى منــها ..تتملكها رغبة فى تجميع أوصالها .

تزدرد ريقها ..تكشف ستائر الجفون عن عينين لامعتين شوق .

ألفته لدى الباب .. يحنى الرأس خجلا ..تصدر ضحكات عالية .

تنزع معها ثوب الحياء .محاولة إخماد حرارة وجهها بكلتا يديها

يقيم نصف ظهره فى إبتسامة عنــــدك مكــوى ياهانــــم !! .

على الهـامش .؟.!

يتملص بجسده من ذلك الحشد أمام مكتب الخزينة..
يهـــم بالخروج قبل أن يراه عامل البوفيه .
مخالفاً الصف ..
يلتقط رغيفان الخبز بين نظرات الزجر ..
أمام محل الجزارة .. بينما كان يسير على عجل ، يقدحها بنصف عـــين
.. بصوت، خافت :
" يـ سى رد عليه ..إزيك سلامات "
يجره الطريق من نعـــليه تجاه مقبرته .
يفترش الأرض .
يباغته محمود البقال :
" حمدلله على السلامه ياسيد أفندى "
لـــم تـــنبس شفتاه بكلمة واحدة .
ظـــل يهز رأسه ..
يفرك رغيفين الخبز بكلتـ يديه .
صارخاً البقال :
ماذا تفعـــــل .. ؟
يجيب سيد أفندى ســـاخراً :
بالمره " بشيـــل الدعم عن الرغيف "

بقـــايا كبـريـاء

أنا " بلطيه " أعكـــــر صفو من يدنو منى ..

أشـــرد وحيدة داخل مكتبى وسط أوراقـــى بالعمـــــــــل بالطـــابق العـــــــلوى ، رغم وجود زميلاتـــــى بالقـــــسم .

فهن اللاتى كن يتوددن إلى ويتقربن منى بالنصائح ،لكن على مايبدو ..

أعلم أننى أجملهن وتلك هى مشكلتـــــى التى لازمتنـــى حينما إكتملت أنوثتى ..كنت أراها فآ همس صديقاتـــى وجيرانى بالحى ونظرات الفتيان التى كانت تلاحقنى بالطــــريق ، ساعدتنى على ذلك والدتى الـــتى أخترقـــت مقولتها فؤادى وجابت شرايينى عندما كان يُطرقُ بابنا :

من يرد الماس عليه أن يعرف كيف يقتنيه " يابلطيه " ..

أبتسم من فرط الحديث حتى إعترانى الكبرياء ، وشمخت أنفـــى شمـــوخ سمكة فضية تـــتــــلألأ فى النهر تضرب بزعانفها أمواج العشق دون إكتـــرات .. تتراقص بزيلها الأنسيابى ، تطفو وقتما تشاء تغازل الصبر فى عين الصياد ولا تخشى التيار وتمضى بى الأيام أرقب الأسماك من حولى تــــتهافتن نحـــو الطعم طواعية لتخرج من ظلمة اليم إلى نور البر ـــ حتى وإن كان فى البر موتها ـــ بينما كنت أكتفى بنظرة الكبرياء تجاه الطعم الذى يتدلى خيطـــه نحوى ، فلم أكن أعلم أن الصبر الذى رمقته

فى عين الصياد لن يدوم طويـــلاً .. فلربما ينتقل الصياد لمكان أخـــر أو ربما يسحب خيط طعمه ويغادر ..

وهذا ما حدث بل أكثر .. صرت أتابع أمواج العشق ترحل. تستأرجح على راحتيها سميكات بثوب عرس . تضوى قشورها فى عين القمر ، تلقفنى دوامة الكبرياء الى القاع . كتلك الدوامة الهوائية التى تظلنى مروحتها بالمكتب .. تستسع حدقة عينى على الأوراق والدوسيهات التى تسكن وحيدة مثلى فوق دواليب العمل والتى طال انتظار من يلتقطها ..

فى غفلة من السكون .. تتهادى خطوات بريئة بطفل تملأ قسمات وجهه الأبتسامة كان قد أقبل علينا ، وكأنه البدر وقد أزاح ستائر الغيم عنه ..

وقف فجأة ثم إستدار نحوى ، جعل يتملقنى عاقداً ما بين حاجبيه الصغيرين فى دهشة وغرابة ، كسر بهما حاجز سكون ..

بادلته النظرة ..

أوه؛ أسه ..

فركت له أصبعىَّ . داعبته مبتسمة ..

عاد للإبتسامة بعدما أطلق العنان لراحتيه .. فاحتويته بين ضلوعى ..

أشعل ذلك الحضن الدافىء الحيرة فى عيونهن وأخذن يتسائلن :

إبن من هذا .. ؟

حاولن أن يلتقطنه ..

إلا أن آبت أنامله التى ظلت متشبثة بردائى ..

همست إحداهن :

هل تعرفينه ..؟

إكتفيت بالإبتسامة وجعلت أداعبه داخل دوامة المروحة كطفلة تحتضن دميتها وسط حنقتهن وغيظهن..

يطرق السمع صوت شغوف قادم من الردهة :

حماده ..

أحمد .. حماده ..

ثم يدلف فى لهفة أثناء ممارسة اللعبة مع الطفل ..

تتعالى أصواتهن وتستعلق نظراتهن بالباب من خلفى

ــــ صلاح ..
إنه إبن صلاح زميلنا الذى يعمل بالطابق الأسفل بالشركة ..
تمسمرت قدماى .. إنسل الطفل كشعاع شمسٍ من بين أناملى فى إتجـــاه أبيه ..
صلاح الذى ماذال يتردد همس حديثه العذب بداخلى منذ سنين .
ــــ تقبلى تجوزينى ..؟
ــــ إنت بتحلـــــم يابنى ..!
أنت بالطابق الأسفل ..
ومنذ ذلك الحين لم يصعـــد بعدها للطابق العـــلوى ..
أُجتزت تنهيدة من داخلى . عدت لمكان جلوسى تحملنى أقدام شبه واهنة . بينما تعددت، نحوه كلمات الترحيب ..
فى الوقت الذى لم تـــتحول عيناه عنى كنت قد أقتلعت جذور خجلى ، وصرت أحدق بالأوراق التى أمامى مرتدية قناع كبريـــــــائى .

أبو طاقيـــة ..

هكذا.. ظل الرعب يتسرب من بين ثنايا عظم الصدور ، باحثاً عن مكان له فى عتمة القلوب ..يمرون فى الطرقات فى هلع . يضحك منهم مجنونهم !!

تعلو رؤوسهم القبعات .. يتحسسونها دون جدوى ..

ترتعد جوارحهم خوفاً من الخفى .. يتسلل دوماً " أبو طاقية" إلى المدينـــة .. يقتل .. يخرب... يدمر ..

تتعثر أقدامهم بجثث البعض .. تتضارب بينهم الأقاويل ..

" أبو [illegible]اقية" " اللى عملها " ..

يعلو صوت آخر : لا .. بل الأسد الجريح فى تلك الغابة ..

حرقوها ، دمروا عرينه ..

يتمتم أحدهم : لا .. تخرج علينا أشباله ، تـــنهش لحوم أجسادنا ..

يخرج كبيرهم .. إمتطوا جواد اليقظة ، شمروا عن سواعدكم قنابل عنـــد الحواجز والمتاريس ، دافعوا عن كيانكم..

يصب الليل فى جوف الأرض .. تصطك أسنانهم .. يتـــناجون.. خوفاً .. لا .. برداً ..

بـــرداً.. لا خوفـــاً.. [illegible]ـــع حـــدقات أعينـــهم دوامـــات فـــزع .. يموج كل فى بعض ..

داخل يم الرعب .. يمر .. يلتهم أجساد البعض ، يصيح أحـــدهم "أبـــو طاقية". " أبوطاقية "

يفزعون .. يهرعون..

يضحك منهم مجنونهم !!

يمر به الضابط: ألم تر أبو طاقية؟

يزيد المجنون من قهقهته .. ما ... كلنا بـــ طاقية .

تشخيص

تستيقظ الحياة مع دبيب أقدام الأم ..

تجر ماتبقى من قواهـــا مرتدية ثوب الصحـــــة ، فوق الجسد الواهن.. متسائلة أين عصاتى ؟

تجيب الأبنة : ها أنا ..

يخرج الأبن الأكبر يفرق شبورة الصبـــاح ، تجوب عينـــاه الطريـــق ، يشير بيمنـــاه ..

يجيبه قبل أن يتلفظ : مستشفى التأمين .. تصعد الأم السيـــارة متكئة ساعد الأبنة ..

داخل المستشفى .. تحبو الأم فوق الدرج ترمى بعينيهـــا

سهـــام الزجر تجاه باب المصعد الموصد ، تمتد اليها أيـــادى الرحمـــة ، تفترش الأرض .. وسط عشرات المرضى " ربنـــا يجبر بخاطركـــم " ..

يخرج الصوت منادياً .. يُجرى لها تحليل طبى .. تغادر ..

مرة أخرى تفترش الأرض وسطهن ، تُخرج لفافة قد دستها .. علـــى استحياء تتناول كسرة خبز مع قطعة من جبن القـــريش. تـــدنوها صـــديقة بالحديث :

أتيت بمفردك ؟

مقاطعة إياها بشمـــوخ ، ومشيرة بفتح الذراعيـــن " بنتى الكبيرة أبلة قد الدنيا " .

مرة أخرى يأتى الصوت منادياً ..

تمتــد إليها أيادى الرحمة بأنامل رقيقة ، كأنها تلتقط ريشة أُسقطت بفعل الريح .. تقيم نصف ظهرها متسائلة :

أين عصاتى ؟ نظارتى !

يـتقـسُمن بإجراء تحاليل .. يبدو اللغو فى الحديث جلياً بين العامــلات " لايوجد أنســولين لكل هــؤلاء " .

تسترق اذنيها السمع .. تجوب الردهة ثورة عارمة من الحديث ..

إجمع بطاقات المرضى .. قالها رجل مهندم الثياب .

بكلمات غير مفهومة : يهمس الرجــل بأذن الطبيــب .. يصــمت الأخير قليــلاً .. يصارعه الضمير ..

يدون فى خانة العلاج ، لكــن تلك المرة بحروف اللغــة العربية إنســو . !!

ليلة صيف

همست فى أذنى ..
إستدارت .. تخطف الابصار .. تنسج خيوط العشق ..
تمتص رحيق الحب دمـــــا ..
فوق فراشى ..
أصارع وسادتى خوفا..
كابوس الامس يراودنى .. يداعب جفن العين ..
يوقظني ..
تحدق عيني..أراها تتراقص..تـــتهادى بانامـــل رقيقـــة تغـــازل مقدمـــة أنفى..ترمقني معاتبة :
كيف تسترق النوم منى ؟
يقظاً .. أتوسل .. أحاول استقامة ظهرى قليلا تبتعد تواصل حديثها .
القلق .. تمتد يدى تشعل سجارة .. ينبعث بركان غضبى دخانا ..
تلتصق الجدار ساكنة .. هدأ ثورةالغضب داخلى..
تـــترنح رأسى .. تعود بثرثرة الحديث .. تلـــك المـــرة أزأر.. أعـــدو خلفها..
من بين ثنايا النافذة تغادر بطنينها .

ريـــم الشـــرق

تفرق القطيع .. لتجد نفسها وحيدة ..

ظلت ترقص داخل الغابه ، حتى نزلت بوادى النمرة ، هناك تنســاب أجساد النمور كالماء ، داخل فرائها الملتوى المسار بين فــروع الأشــجار الكثيفه .. تنطلق من أعينها سهام الغدر . تكشر عن أنيــاب حادة ..

تواقة لرقبة ريـــم .. الإنسيــابية ، التى تختال ترشق الأرض بـــدلال ، كأنها ريشـــة يتخبطها الريح .. تهز بذيلهـــا .. تستشـــعرخوفاً . يثـــب ملك الغابة من فوق الربوة الغربية .مدافعا عنها ومهيمناً .. يـــزأر .. لا .. يجيبه صوت ، سوى إرتداد صدى زئيره . تـــنسحـــب النمور تجر زيـــل الأنكسار ..تندس الهوام داخل جحورها .. تتلصص آكلة الجيفة ..يرنـــو الكلب ..

حينئذ يضرب ملك الغابة برجله يثير غباراً .. يقول لسان حاله : أنـــا الأقوى .. لهذا يلتفت تجاه ريـــــــم ..

أطرقت الأخيرة الرأس .. داخل العرين تلقى بنفسهـــا .

أبو مـروان الحـــر

داخل حدود الأرض التي إقترن اسمهـــا بالأحتلال ، تمتزج الدمـــوع المبهمة بين الأحضان ـــ خارج حدود المعتقـــل ـــ حيث تـــدفق شلال الأهل بين صفوف المفرج عنهم .. بل غمرهم بأمواج مـــن الفـــرح ودوامات المعانقة .. لتنطلق هدير القبلات طلقات تدوى تزيغ معها عيـــون الحراس الوجلة ..

يهمس " رعد " بأذن " إياد " المفرج عنهما :

لعل أبو مـــروان الحـــر على صواب .

" سلمى " الطفلة ظلت عالقة بهامة أبيها تسائلـــه :

هـــل سيذكـــر التاريخ مجد نضالك ياأبى ؟

يجيب ساخـــراً :

التاريخ لا يذكر الصغائر يابنـــيتـــى .

يقبض " مطـــر " بزندى " شوق " زوجته قبل أن تهـــم بعناقه قائلاً :

هناك جروح لم تلتـــئم بعد .

تداعبه :

لقد صارت لحيتك طويلة .

يفركها بأصابعه .. كنت أدخر ثمن الحلاقة بالسجن .

تبقـــى دمعه حزينة تأبـــى أن تغادر سفح خـــد " أم مـــروان الحـــر " المدرج إسمه ضمن المفرج عنهـــم .

تصيح ثائـــرةً :

ولـــدى ....!

تنفـــرج دوامات العنـــاق .. يتوقف هدير القبـــــل .. يسكــــــن الشـــــلال ..

فى غطـــــرسة يلقـــــى بوجهه الحارس رســـالة .. تجفف دموعهـــا .. لهفـــة تســــــرع بقـــراءة مابين سطورها .

أمــــى ... لقـــد أبيت الخـــــروج من سجنى الصـــغير الى الســـجن الأكـــبر حيث لافرق بين الأســـــوار .

أطمئنك .. فأنا أفضـــل حالاً منكـــم .

لدىّ هنا غرفة أقطنها .. نعـــم إنها شبية بالقبر لكنها آمنة .

على الأقل أنا طليق بداخلها ومدون عليها بالخارج أسمـــــى فالكـــــل هنا يعرفها ، فلقد أصبحت أمتلك غرفة علاوة على أنقـــاض منزلنـــا .

توقيع : " ولدك أبو مروان الحر "

إستدارت لتلحق بموج الشلال المغادر ..

تنظر " سلمى " الطفلة الصغيرة من فوق كتف أبيهـــا نحـــو المعتـــــقل فاغـــرة فاها .. تدور بخلدها عظـــم الأمـــور .

مظلـــــمة

مع خفوت الصهيل . يعلو النهيق. دون الاضحية تراق دمـــاء الشـــاة.
ظـــللت سابحاً في عقارب الساعة . يجوب رنينها رأسى تجذبني . تعود بي الي الوراء .

أمضى قـــدماً. وقت الظهـــيرة . تـــلفح أشعة الشـــمس جبـيـــنى .
يتصبب ألآخر عرقاً . أتحسس الظل وسط البيداء العارية . تطأ قدماي البقعة الأمنة. مازال نائماً تحت الشجرة . يلتحف عباءته البالية .

علي استحياء أدنو. توقظه أنفاسى . يستقيم الرجل قاعـــــداً . تأخذني الرجفة لمهابته .

يتساءل :

من أنت ياعبـــد الله ؟

أجبـــــته :

من زمن عصر الحمير ياسيدى .

باغـتـــني :

وما شكواك ؟

شكوت له تعثر الدواب في عصرنا .

رمقـــنــــــى دهشاً وقد بدا الغضب يكسو ملامح وجهه مشيراً بسبابته القوية السلاميات :

إئـــت لي بالراعي .

وثبت قدماى . إنـــتـــفض جسدي . عدوت من امامه .

تـــتمتم شفتاي :

" وده هاجــيـــبهوله إزاي " .

* نشرت بجريدة المساء بتاريخ ١٩ /٤ / ٢٠٠٤

الكاتب

جمال أبو ضيف

من مواليد / شاطىء القناة - الكاب - القنطرة غرب - الإسماعيلية

المنشأ والإقامة / قرية هرية رزنة بلد الزعيم أحمد عرابي الزقازيق شرقية

مراجع بديوان عام إدارة غرب التعليمية بالزقازيق شرقية

عضو / جمعية الزعيم أحمد عرابي الثقافية

سكرتير / نادى أدب قصر ثقافة بلبيس

عضو / نادى أدب قصر ثقافة الزقازيق

عضو / نادى أدب المجمع الإعلامي الثقافي بالزقازيق

عضو / جماعة هاشم الرفاعي الأدبية

عضو / مؤتمر أدباء إقليم شرق الدلتا الثالث (المنصورة) الفترة من ٧ ـ ٩ / ٢٠٠٤

عضو / مؤتمر ديرب نجم ٢٠٠٤

عضو / مؤتمر الشرقية ـ الزقازيق ٢٠٠٤

عضو / مؤتمر أدباء مصر التاسع عشر بمدينة ألأقصر الفترة من ٢٨/٩ : ١ / ١٠ / ٢٠٠٤

صدر للقاص :

الشهد المر مجموعة قصصية

الإطار مجموعة قصصية (بين يديك)

تحت الطبع مجموعة قصصية أخرى .

الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠٧/١٠٤٧٥
الترقيم الدولى I.S.B.N : 977-374-299-7